

انتحاف الوري

بما تيسر من أحكام البدعة والهوى

تأليف

أبي العباس / نصر صالح الخولاني

راجعته وقدم له

فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن يحيى البرعي

مكتبة الثقافة
عدن

دار التيسير
صنعاء

انحاف الورى

بها تيسر من أحكام البدعة والهوى

تأليف

أبي العباس / نصر صالح الخولاني

راجعته وقدم له

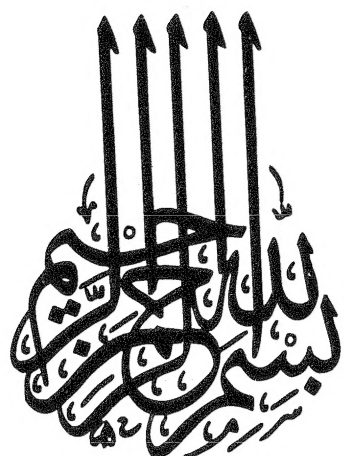
فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن يحيى البرعي

مكتبة الثقافة

عدن

دار التيسير

منحاء





إتحاف الورى بما تيسر من أحكام البدعة والهلوى

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

إيماناً مني بقوله عز وجل ﴿ وَإِذْ تَأْذِنُ رَبُّكُمْ لِأَنْ شُكِرْتُمْ لِأَزِيدَنَكُمْ وَلِأَنْ كُفِرْتُمْ إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم - ٧] وقوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كما في مسند الإمام أحمد من حديث الأشعث بن قيس رضي الله عنه (إن أشكر الناس لله عز وجل أشكرهم للناس) .
أحمد الله العلي العظيم وهو للحمد أهل ولا حول ولا قوة إلا به ، أحمدته ربي على نعمه العظيمة التي لا تحصى ، ومن أجلها وأعظمها نعمة الهداية والتوفيق لسبيل العلم النافع والعمل الصالح .
وأسأله سبحانه المزيد من فضله إنه جواد كريم برحيم .

كما أشكر كل من كان له الفضل عليّ بعد الله عز وجل في تحصيلي العلمي ، وأخص منهم بالشكر والتقدير مشائخي الكرام الأفاضل . منهم شيخ مشايخنا الوالد المحدث العلامة / أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي حفظه الله تعالى وشفاه وعافاه ورزقه الصحة في بدنه والقوة في علمه وأدامه لنصرة السنة والحق . وهكذا شيخنا الوالد الفاضل المحدث / أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليمانى حفظه الله وبارك في عمره وعلمه وجعله ذخراً للسلفية . والشيخ الفاضل والداعية المحنك / أبو ذر عبد العزيز بن يحيى البرعي حفظه الله والذي أعطاني من وقته فراجعت هذا المؤلف عليه في إحدى أسفاره الدعوية ، وقد تفضل حفظه الله ورعاه بكتابة مقدمة مختصرة فجزاه الله خيراً . ولا أنسى في هذا المقام ما قدم لي والداي حفظهما الله تعالى من كل سوء ومكروه ، فلهما يعود الفضل بعد الله عز وجل في تفرغي لنيل العلوم الشرعية ، فجزاهما الله خيراً ورحم ضعفهما وجعلني قرة عين لهما ووفقني لبرهما والإحسان إليهما . كما أشكر كل من ساعدني على نشر وطبع وإخراج هذا المصنف إلى حيز الوجود ومد إليّ يد العون وأخص منهم :

الأخ الفاضل : عبد الخالق بن عبد المجيد مشعبي . والأخ الفاضل / أبو سعيد معمر بن يسلم بن طالب حفظه الله تعالى . والأخ الفاضل / أبو البراء عبد المجيد بن حمود بن عامر حفظه الله ووفقته لمواصلة العلم . والأخ الفاضل / أبو عبد الله شعبان بن عبود الحداد حفظه الله تعالى . والأخ الفاضل / أبو صالح فهد بن مطلق بن طالب حفظه الله تعالى . والأخ الفاضل / شايف الخطيب حفظه الله تعالى ورعاه . والوالد الفاضل / أبو أمين سيلان بن محفوظ عباد رعاه الله ومتعاه بعمره في طاعته سبحانه . وهكذا سائر الأخوة القائمين على دار التيسير فقد تفضلوا بطبع هذا الكتاب فجزاهم الله خيراً وبارك فيهم وفي دارهم .

والحمد لله رب العالمين .

تقديم فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن يحيى البرعي حفظه الله تعالى

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم وبعد:

فقد اطلعت على الرسالة المسماة : " إتحاف الورى بما تيسر من أحكام البدعة والهوى " التي ألفها أبو العباس نصر بن صالح الحولاني ، فألفتها رسالة نافعة مدعمة بالأدلة من كلام الله وكلام رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - . وقد عقد فصولاً مهمة من تتبعها علم أهميتها ، ولذا فأنصح طلبة العلم وغيرهم باقتنائها والاستفادة والإفادة منها ، مع الدعاء لكايتها نسأل الله عز وجل أن يشارك فيه وفي علمه وأن ينفع به وبكتابه الإسلام والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين .

كتبه

عبد العزيز بن يحيى البرعي

١٢/شعبان/١٤٢١هـ

اليمن - إب - مفرق جيش

هاتف : ٤٣٣٢٤٥ / ٤ / ٠٩٦٧

ص ب : (٩٠٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله ، حمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له .

واشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ . [آل عمران - ١٠٢]

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ . [الأحزاب - ٧١]

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحد وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تسالون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ . [النساء - ١]

أما بعد :

فإن الناظر المتبصر ، لأحوال الناس ومعاشهم المتعسر ، يجد ما يعجب منه اللبيب ، من ظهور البدع المستفيضة التي كان من آثارها المجنية تشويه جمال الدين الخفيف ، والشرع الشريف ، وافتتان الرعاع ومن لا علم عنده بها . فانكب كثير من الناس ورائها قبلاً ، واتخذوها ديناً وسبلاً ، وحسبوا أن لا تكون فتنة ، وابتغوا بها القربة ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون .

فإلى دعاة الإسلام ، والعاملين في حقل الدعوة السلفية ، أقدم هذا البحث المتواضع المستقى من كتب سلفنا الذاهرة ، التي حوت الكتب النفيسة ، فيها الأقوال والأحكام والعبر المدعمة بالأدلة الصحيحة . وهذه الرسالة عبارة عن « وصايا عظيمة وحكم بليغة وأصول وقواعد تمثل سبيل المؤمنين ، ونهج السلف الصالح ، وعلماء السنة .

فعليك أخي الكريم بها ، وإياك وحذقة المتحذقين ، وتكلفت المتكلفين ، وشعارات المهرجين . ولا تنخدع بدعاوي المخالفين من الجماعات والاتجاهات التي لا تلتزم طريق أئمة الهدى ، ولا تدين للمشايخ الفضلاء بفضل ولا قدوة ، فإنها في سبيل الهوى والشذوذ والهلكة ولو بعد حين ، فإن الأمر لا بد أن ينجلي عن الحق ، فاصبر على السنة ، ولو شعرت بالغرابة ، وإياك والقنوط واليأس ، فإنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .^(١)

(١) مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع . ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٦٩ .

ألا هل من ناظر إلى العدو الصائل ، فيتخذ له الدواء العاجل .
 إننا لو كشفنا السر لوجدنا ، سبب الداء العضال في هذه الأمة يرجع رأساً إلى قلة بيان المبينين للمنهج
 السلفي في التلقي والاستدلال ، وفي معاملة الصديق والعدو والقريب والبعيد .
 فما أقل من نصب نفسه ناصحاً للأمة ، وحذرها من الأهواء والبدع المضلة ، وبصرها بأحوال السلف .
 ربطاً للحديث بالقديم من حيث الثبات على الحق ، والاستماتة دونه ، والذب عن السنة وأهلها ،
 والتحذير من البدعة وأهلها ، فتجيا السنن وتنتشر ، وقوت البدع وتندثر .
 فبين يديك هذا المختصر ، من مواقف السلف وأقواهم معتصر ، نصيحة للأمة ، وتشميراً لعلو الهمة ،
 للعمل بالكتاب والسنة والذب عنهما ، حتى يميز الله الخبيث من الطيب ، فيظهر الحق الأبلج ، وينكسر
 ويختفي الباطل اللجلج .

« رزقنا الله الاتباع وأحياء السنن ، وجنبنا البدع والأهواء في السر والعلن » .^(١)
 والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

قاله مستمداً من الله العون
 أبو العباس / نصر بن صالح الخولاني
 غفر الله له ولوالديه .

الفصل الأول

وفيه مباحث

المبحث الأول : الاعتصام بالكتاب والسنة :-

اقتضت رحمة الله تعالى لعباده أن جعل لكل داء دواء ، إلا السام . علمه من علمه وجهله من جهله ، فجعل الله لكل شيء سبباً ، فخلق الخلق لا يستكثر بهم من قلة ، ولا ليتقوى بهم من ضعف ، سبحانه جل عن الشبيه والنظير ، خلقهم لحكمة عظيمة ، وأمانة شريفة ، فلم يتركهم هملاً ، ولم يذرهم سداً ، فعلى الله القائل : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ [الذاريات - ٥٦ / ٥٨] .

فاجن والإنس كلهم عبيد له ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً ﴾ * لقد أحصاهم وعدهم عدداً * وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ﴾ . [مريم - ٩٣ / ٩٥]

أسخ الله على عباده نعمه الظاهرة والباطنة ، التي لا يحصوها عدداً إلا هو سبحانه ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ [إبراهيم - ٣٤] . ومن أجل النعم نعمة العلم والعمل الصالح ، التي من أجلها بياناً وإيضاحاً ، أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وأنزل الكتب تبياناً وتفصيلاً لكل شيء .

فمن رام الهدى والرشاد بلج الباب ، فمن بلج ولج ، ومن جد وجد ، وعليه أن يلتمس سبيل الخير والهدى ، باتباع هدي المصطفى - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، فهو الطريق إلى مرضات رب العالمين ، وما سواه من الطرق مسدودة منقطعة ، فانفرد طريقه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - الذي رسمه بأقواله وأفعاله وتقريراته ، فلهذا وذاك أوجب الله علينا الاعتصام والتمسك بالكتاب والسنة والعرض عليها بالنواجز كما كان سلف الأمة ، وخير قرونها . وتجدر هنا ضرورة معلومة من الدين ، فنصوصه محكمة قاطعة في الدلالة والثبوت ، مأخوذة مأخذ التسليم لشهرتها ، فهي أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر . فوجب على السالك سبيل الحق أن يكون وقافاً عند حدود الله مكتفياً بما شرع الله سبحانه وتعالى ، لا يقول كيف ولا لم بل هو الاستسلام والإذعان والانقياد والانكسار بين يدي رب العباد ، فلا تجده يقدم على تحريف النصوص وتأويلها بغير حجة ، ولا قرينة تدعو إلى التأويل ، بل هو الاتباع المجرد الذي أساسه الإخلاص واقتفاء آثاره - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، فلا تجده رفع قولاً فوق قول الله ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، بل يسير سير الخلد من أن يقع بين يدي شهواته وأهوائه ، فأنعم به من عبد عرف حكمة خلقه ، فأقام أساسها ، وعرف عظمة ربه الذي خلق السموات والأرض ، والذي بيده الضر والنفع والموت والحياة والنشور ، وكل إليه راجعون ، فخافه من أن يقع في معصيته ومحادثته ومشاقفته . ولو أن الخلق عرفوا ما عرف ، وأدركوا هذه الحقيقة وهذا الأصل الأصيل لسدت أبواب

فتحت للناس البدع والضلال ، ولما كان الهوى متبعاً على حساب الكتاب والسنة ، ولا ظهر للمتدعة رأي ، ولما قام لهم سوق ، فحينئذ « تظهر أنوار الشرع ، وتسقط شمول العدل ، وتهب رياح الدين ، وتستعلن كلمة الله في عبادته ، وترتفع أوامره ونواهيه ، وتقوم دواعي الحق ، وتسقط دواعي الباطل ، وتكون كلمة الله هي العليا ، ودينه هو المرجوع إليه ، المعول عليه ، وكتابه الكريم وسنة رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - هما المعيار الذي توزن به أعمال العباد ، ويرجع إليهما في دقيق الأمور وجليلها ، وبذلك تنجلي ظلمات البدع ، وتنقسم ظهور أهل الظلم ، وتكثر نفوس أهل ماضي الله وتحقق رايات الشرع في أقطار الأرض ، ويضمحل جولان الباطل في جميع بلاد الله عز وجل » ^(١) ويعيش أهل الإسلام في ظل بركة الكتاب والسنة .

فإليت قومي يعلمون ويدركون أثر ذلك فيشمروا عن سواعدهم للنهوض بهذا الأصل القويم ، والصراط المستقيم الذي رضيهِ لنا العزيز الحكيم ، وأتمه نعمة على عبده ورسوله المنعوت بكونه بالمؤمنين رؤوف رحيم ، نطق به الكتاب ، وسار عليه النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - والأصحاب .
« وباجملته :- فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لم يترك شيئاً يقرب إلى الجنة إلا وحدث به ، ولا شيئاً يبعد عن النار إلا وقد حدث به » ^(٢) محذراً منه ، فقامت الحجة على الخلق ، واستبانَت المحجة .. وعُلِمَ أن الذوق والحال والكشف والوجد والمنامات محكوم عليها بحاكم آخر ، وليست مصداً للتحاكم إليها ، كما سلكها بعض الزائغين وهذا هو « منشأ ضلال من ضل من المفسدين لطريق القوم الصحيحة ، حيث جعلوه حاكماً يتحاكمون إليه فيما هو صحيح فاسد فجعلوه حاكماً بين الحق والباطل ، فبذوا الكتاب والسنة ولم يحكموا العلم والنصوص ، وحكموا الأذواق والحال والمواجيد ، فعمم الفساد ، وطمست معالم الإيمان والسلوك المستقيم » ^(٣) فعلى العبد السالك أن يعلم بوجوب طاعة نبيه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لأمر الله سبحانه وتعالى بذلك في كتابه العزيز ، وتنصيب السنة على هذا المقام أيضاً ودونك بعض تلك الأدلة :-

فمن أدلة الكتاب :- قال الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران - ١٣٢] .
قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ * من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن يتول فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ [النساء - ٨٠/٧٩] . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ... ﴾ [النساء - ٥٩] وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [النساء - ١٣] وقال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

(١) رفع الرية عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة . المطبوع ضمن - الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية - ص ١٨ .

(٢) رسالة في السماع والرقص للمنبجي الحنبلي - رحمه الله تعالى - ص ٣٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٩ .

وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴿ [المائدة - ٩٢] وقال تعالى: ﴿ ويسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ [الأنفال - ١] وقال تعالى: ﴿ يأيسها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ﴾ [الأنفال - ٢٤] وقال تعالى: ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ [الأنفال - ٤٦] وقال تعالى: ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ [النور - ٥١] وقال تعالى: ﴿ وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ [النور - ٥٦] وقال تعالى: ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [النور - ٥٤] وقال تعالى: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور - ٦٣] وقال تعالى: ﴿ من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ [الأحزاب - ٧١] وقال تعالى: ﴿ يأيسها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ [محمد - ٣٣] وقال تعالى: ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ [الأحزاب - ٣٦] وقال تعالى: ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذاباً أليماً ﴾ [الفتح - ١٧] وقال تعالى: ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون ﴾ [الأعراف - ٣] وقال تعالى: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ [الحشر - ٧] وقال تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ [آل عمران - ٣١]

وهذا قليل من كثير وفيه كفاية لمن طلب الهداية .

ومن أدلة السنة :

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : (دعوني ما ترككم فأنا أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وما أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) .

وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيثاً أصاب أرضاً فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء ونفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وكان منها طائفة إما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) .

وفي البخاري ^(١) عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : (كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة . ومن عصاني فقد أبى) .

وفي البخاري أيضاً مع الفتح رقم (٧٢٣٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : جاءت الملائكة إلى النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم والقلب يقضان فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً قال فاضربوا له مثلاً فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقضان : مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقضان فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فمن أطاع محمداً - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فقد أطاع الله ومن عصى محمداً - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس) .

وفي البخاري مع الفتح رقم (٧٢٣٨) عن أبي موسى - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - (إنا مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال يا قوم إني رأيت جيشاً بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدجلوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به)

وجاء عند مسلم وغيره عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -

(١) مع الفتح رقم (٧٢٨٠) . كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

وسلم - قال : (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) .

وروى الإمام مسلم (١٢٢/٧ - ١٢٣) عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يوماً بماء يدعى (حنا) بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : (أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي) وفي لفظ (من تمسك به واخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل) .^(١)

وفي المسند (٤٠٩/٥) عن مجاهد قال : دخلت أنا ويحيى بن جعدة على رجل من الأنصار من أصحاب الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : ذكروا عند رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - مولاة لبني عبد المطلب أنها تقوم الليل وتصوم النهار فقال : قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لكني أنا أنام وأصلي وأفطر فمن اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني إن لكل عمل شرة ثم فتره فمن كانت فترته إلى بدعة فقد ضل ومن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى) .^(٢)

وفي المسند أيضا بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (لكل عمل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنة فقد افلح ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك) .^(٣)

وثبت عند الترمذي وأبي داود عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : (لا ألفين أحداً منكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) .^(٤)

وجاء أيضا عند الترمذي وأبي داود وغيرهما من حديث العرابض بن سارية - رضي الله تعالى عنه - قال : وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها

(١) انظر الصحيحة (٤ / ٣٥٦) .

(٢) صححه شيخنا مقبل بن هادي - حفظه الله تعالى - في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٧٦/١ - ٧٧) .

(٣) انظر الجامع الصحيح لشيخنا - حفظه الله تعالى - (٧٧/١) .

(٤) رواه أبو داود (٣٥٦/١٢) والترمذي (٤٢٤/٧) وصححه شيخنا حفظه الله تعالى - في الجامع الصحيح (٤٧/١) و

(٥١١/٣) .

العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال : (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن

تأمر عليكم عبد حبشي ، وإنه من يمشي منكم فسيرى اختلافاً كثيراً . فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فكل بدعة ضلالة) .^(١)
وروى عبد ابن حميد في المنتخب من المسند (٥٨/١) عن أبي شريح الخزازي - رضي الله تعالى عنه - قال : خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فقال : (أبشروا أبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً) .^(٢)

(١) حديث صحيح ، أخرجه الزمذي رقم (٢٦٧٦) وأبو داود رقم (٤٦٠٧) وأحمد في المسند (١٢٦/٤ و١٢٧)
وغيرهم . وانظر جامع شيخنا (١٩٩/١) .

(٢) انظر تحريجه في الصحيحة للعلامة المحدث الألباني - رحمه الله تعالى - (٣٣٠/٢) رقم (٧١٣)

من آثار السلف :

أخرج الدارمي في سننه (٦٩/١) كتاب العلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) .^(١)

وقال أيضاً : (ستجدون قوماً يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم ، فعليكم بالعلم وإياكم والتبدع والتنتطع والتعمق وعليكم بالعتيق)^(٢) والعتيق هو القديم والمراد به سنة النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - . وجاء في البخاري^(٣) عن حذيفة أنه قال : (يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتكم سبقاً بعيداً فإن أخذتم عيناً وشمالاً فقد ضللتكم ضلالاً بعيداً) . وقال ابن عمر رضي الله عنهما : (لا يزال الناس على الطريق ما تبعوا الأثر) .^(٤)

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أنه كان يقول : (اتباع السنن قوام الدين) . وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على السنة ويعظمونها فقد أخرج مسلم (٩٠٦/٢ - ٩٠٧) رقم (١٢٣٥) عن محمد بن عبيد الرحمن أن رجلاً من أهل العراق قال له : (سل لي عروة بن الزبير عن رجل يهل بالحج فقال الرجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يأمر الناس بالعمرة في هؤلاء الأشهر وليس فيها عمرة فقال : ألا تسأل أمك عن ذنبك . فقال عروة إن أبا بكر وعمر لم يفعل ذلك قال الرجل من هنا هلكتم ما أرى الله إلا يعذبكم أحدثكم عن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وتخبروني بأبي بكر وعمر) .

وفي الصحيحين^(٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : (إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها) ، فقال بلال بن عبد الله : والله لنمنعهن . قال فأقبل عليه عبد الله فسيبه سباً سيئاً ما سمعته سبه مثله قط وقال : " أخبرك عن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وتقول والله لنمنعهن " .

وعن مجاهد قال : (ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -) وروي معناه عن الشعبي^(٦) وعن بعض الأئمة الأعلام .

(١) وأخرجه الطبراني في الكبير رقم (٨٧٧٠) وقال الهيثمي في المجمع (١٨١/١) : " رجاله رجال الصحيح . وقال العلامة الألباني - رحمه الله تعالى - في تحقيق كتاب العلم لزهير بن حرب (ص ١٢٢) رقم (٥٤) : " إسناده صحيح " .

(٢) التنبيه والرد للملطي ص (٨٥) .

(٣) البخاري مع الفتح رقم (٧٢٨٢) .

(٤) إيقاظ هم أولي الأبصار للفلاي - رحمه الله تعالى - ص (٢٢) .

(٥) مسلم (٣٢٦/١) رقم (٢٣٥) و (١٣٨) و (١٣٩) والبخاري رقم (٨٦٥) و (٨٧٣) و (٨٩٩) .

(٦) إيقاظ هم أولي الأبصار للفلاي - رحمه الله تعالى - ص (٢٣) .

قال الشعبي رحمه الله : (ما حدثوك عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فخذ به ...) .

وفي شرح أصول أهل السنة (١٢٧/٥٦/١) عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قوله : (اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا ، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم) .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : " الطرق كلها مسدودة إلا على المقتفين آثار رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - والمتبعين سنته وطريقته فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه كما قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [الأحزاب ٢١] حليه الأولياء (٢٥٧/١٠) .

وعن أبي العالية الرياحي أنه قال : (تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام ولا تحرفوا الإسلام عينا ولا شملاً . وعليكم بسنة نبيكم ، والذي كان عليه أصحابه ، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقى بين الناس العداوة والبغضاء . فحدثت الحسن فقال : صدق ونصح .

فحدثت حفصة بنت سيرين فقالت يا بأهلي أنت حدثت محمداً بهذا ؟ قلت لا قالت فحدثه إذا ^(١) . وفي الترمذي أن رجلاً من أهل الشام سأل عبد الله بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج فقال عبد الله بن عمر : (هي حلال . فقال الشامي : إن أباك قد نهى عنها . فقال عبد الله : (رأيت إن كان أبي قد نهى عنها وصنعها رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أأمر أبي اتبع أم أمر رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ؟ فقال الرجل : بل أمر رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - . فقال : لقد صنعها رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -) . ^(٢)

وجاء عن ابن الماجشون أنه سمع الإمام مالك يقول : " من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن محمداً - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قد خان الرسالة لأن الله تعالى يقول : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ [المائدة - ٣] فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً " . ^(٣)

وقال الشافعي رحمه الله تعالى : (أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لم يكن ليدها لقول أحد) ^(٤) .
رزقنا الله العلم النافع والعمل الصالح .

(١) التنبيه والرد ص (٨٤) و شرح اعتقاد أهل السنة (٦٢/٩) .

(٢) الترمذي رقم (٨٢٤) وسنده صحيح .

(٣) الاعتصام للشاطبي - رحمه الله تعالى - (٥٣/٢) .

(٤) إعلام الموقعين لابن القيم - رحمه الله تعالى - (٢٨٢/٢) .

البحث الثاني: -

أساس قبول العمل عند الله تعالى

إن مما ينبغي على السالك إذا بادر إلى عمل ينبغي به الدار الآخرة ، أن يقف مع نفسه ملياً وقفة حساب وتأمل وتفكر وتدبر هل يجد الباعث له على هذا العمل ابتغاء وجه الله وحده دون من سواه ؟ أم الباعث له على هذا العمل حب التصنع للمخلوقين والسمعة والرياء ؟ فإن كان الأول انتقل إلى مرحلة ثانية ووقفة من وقفات الحساب والتأمل والتدبر ، وإن كان الثاني فالويل له إن أقدم على فعله بل يجب عليه الإنكفاف . والوقفة الثانية هي أن ينظر هل هذا العمل الذي أقدم على فعله أو هذا القول الذي أقدم على النقول به بعد أن أخلص لله سبحانه موافق لهدى رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ؟ فإن كان أقدم عليه وهو مما اثر عنه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فليحمد الله على توفيقه وتسديده وليسارع إلى فعله قبل أن تحول الحوائل أو تمنعه الموانع فكم من مريد للخير لا يبلغه والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ومتى شاء سبحانه وتعالى .

فوجب على العبد أن يكون حذراً من هذه المراتق ، وهذه المسالك الوعرة . وليجعل لأعماله الباطنة ميزاناً يزنها به . وميزانها الوحيد الفريد ، هو ما جاء في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يقول : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه) .

قال العلامة القسطلاني رحمه الله تعالى كما في شرحه على البخاري : " من أراد الغنيمة صحح العزيمة ، ومن أراد المواهب السنية أخلص في النية ، ومن أخلص الهجرة ضاعف الإخلاص أجره ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، وإنما تنال المطالب ، على قدر همة الطالب ، وإنما تدرك المقاصد ، على قدر غناء القاصد ، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم " .

فالإخلاص عزيز وما أعزه على النفوس ، وأهل الإخلاص هم السابقون إلى كل خير ، وهم من حقق كلمة التوحيد ، وما دلت عليه واستلزمته من أفراد الله تعالى وحده في العبادة ، فلا شريك له ، ولا ند له ، ولا إله غيره .

ويا لله العجب من بعض أفراد المسلمين ، الذين لا يعرفون كلمة التوحيد إلا تلفظاً ! فكم عبد غير الله في دار الإسلام ؟ وكم شدت من رحال إلى غير الله تعالى ؟ وكم التجأ الجاهلون إلى القبور والأضرحة ، للتسح بأثربتها ، والتبرك بها ، ودعاء المقبور مع الله أو دون الله ، دفعاً لمضرة أو جلباً لمنفعة ؟؟ . أما علم هؤلاء عظم ما يفعلون ، وخطر ما أقبلوا عليه بخيلهم ورجلهم ؟ .

وتا لله إنها لإحدى الكبر ، فليت شعري متى يعقل هؤلاء الجاهلون فيكفوا عن هذه الأفعال ، التي تحبط أعمالهم ، ويحققوا ما أراد الله منهم ، من إخلاص الدين له ، فلا يتوكل إلا عليه ، ولا يطلب دفع المضرة وجلب المنفعة إلا منه سبحانه وتعالى ؟ .

فإنه المعز المذل المانع المعطي المسك ، بيده الخير ، يؤتي ملكه من يشاء ، وينزعه من يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، وهو على كل شيء قدير .

وليجعل السالك على طريق الهدى ، ميزاناً لأعماله الظاهرة يزنها به ، وهذا الميزان هو ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يقول : (من أحدث في أمرنا هذا ، ما ليس منه فهو رد) . وانفرد مسلم بلفظ : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) .

وحقيقة وزن العمل ، أن ينظر هل هو من سنته وهديه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أم لا ؟ . فيقدم عليه إن كان الأول ، ويكف عنه إن كان هو الثاني .

ونخلص من هذا بقولنا : " إن أساس قبول العمل عند الله تعالى ، هو تحقيق أمرين اثنين ، دل عليهما الكتاب والسنة ، والآثار السلفية ، وهما :

الأول : - إخلاص العمل لله تعالى .

الثاني : - موافقة سنة رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وهديه .

فالأول به تحقيق لا إله إلا الله . والثاني فيه تحقيق معنى محمد أرسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - .

والناس في هذين الأمرين كما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى ، في كثير من المواضع المسطرة في كتبه ، على أربعة أقسام .

قال رحمه الله كما في التفسير القيم ص (٧٣-٧٥) : " إذا عرف هذا ، فلا يكون العبد متحققاً بإياك نعبد ، وإياك نستعين ، إلا بأصلين عظيمين :

أحدهما : - متابعة الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - .

والثاني : - إخلاص للمعبود .

فهذا تحقيق (إياك نعبد) . والناس منقسمون بحسب هذين الأصلين أيضاً إلى أربعة أقسام :

أحدهما : - أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة . وهم أهل (إياك نعبد) حقيقة . فأعمالهم كلها لله ، وأقوالهم لله ، وعطاؤهم لله ، ومنعهم لله ، وجههم لله ، وبغضهم لله ، فمعاملتهم ظاهراً وباطناً لوجه الله وحده . ولا يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكوراً ، ولا ابتغاء الجاه عندهم ، ولا طلب المحمدة والمنزلة في قلوبهم

، ولا هرباً من ذمهم ، بل قد عدوا الناس بمنزلة أصحاب القبور ، لا يملكون لهم ضرراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً .

فالعامل لأجل هؤلاء وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ، ورجاؤهم للضر والنفع منهم . لا يكون لعارف بهم البتة ، بل من جاهل بشأنهم ، وجاهل بربه .

فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم ، ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله ، وعطاؤه ومنعه ، وحيه وبغضه ، ولا يعامل أحد الخلق دون الله ، إلا لجهله بالله ، وجهله بالخلق ، وإلا فإذا عرف الله ، وعرف الناس ، آثر معاملة الله على معاملتهم ، وكذلك أعمالهم كلها ، وعبادته ، موافقة لأمر الله ، ولما يحبه ويرضاه ، وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه .

وهو الذي بلا عبادة بالموت والحياة لأجله قال تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ [تبارك - ٢] . وجعل ما على الأرض زينة لها ، ليختبرهم أيهم أحسن عملاً .

قال الفضيل بن عياض : " هو أخلصه وأصوبه . قالوا يا أبا علي : ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ، ولم يكن صواباً ، لم يقبل . وإذا كان صواباً ، ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً . والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة " .

وهذا هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ [الكهف - ١١٠] . وفي قوله تعالى : ﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ [النساء - ١٢٥] . لا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه ، على متابعة أمره ، ما عدا ذلك فهو مردود على عامله ، يعود عليه أحوج ما هو إليه هباءً منثوراً .

وفي الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - (من عمل عملاً ...)^(١) وكل عمل بلا اقتداء ، فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعداً . فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره ، لا بالآراء والأهواء .

والضرب الثاني :- من لا إخلاص له ولا متابعة ، فليس عمله موافقاً لشرع ، ولا هو خالصاً للمعبود . كاعمال المتزينين للناس ، المرائين لهم بما لم يشرعه الله ولا رسوله ، وهؤلاء شرار الخلق ، وأمقتهم إلى الله عز وجل ، ولهم أوفر نصيب من قوله تعالى : ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يمدحوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ﴾ . [آل عمران - ١٨٨] يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك ، ويحبون أن يمدحوا باتباع السنة والإخلاص .

وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف من المتسبين إلى العلم والفقه والعبادة عن الصراط المستقيم ، فإنهم يرتكبون البدع والضلالات والرياء والسمعة ، ويحبون أن يمدحوا بما لم يفعلوه من الاتباع والإخلاص

(١) لفظه كما في مسلم : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) .

والعلم . فهم أهل الغضب والضلال .

الضرب الثالث :- من هو مخلص في أعماله ، لكنها على غير متابعة الأمر . كجهال العباد والمتسبين إلى طريق الزهد والفقر . وكل من عبد الله بغير أمره ، واعتقده قربة إلى الله ، فهذا حاله كمن يظن أن سماع المكاء والتصدية قربة إلى الله ، وأن الخلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قربة ، وأن مواصلة صوم النهار بالليل قربة ، وأن صيام يوم فطر الناس كلهم قربة ، وأمثال ذلك .

الضرب الرابع :- من أعماله على متابعة الأمر ، لكنها لغير الله . كطاعة المرائين ، وكالرجل يقاتل رياءً وهمةً وشجاعة ، ويحج ليقال ، ويقرأ القرآن ليقال ، فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحة ، مأمور بها ، لكنها غير خالصة فلا تقبل . ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ [البينة - ٥] . فكل أحد لم يؤمر إلا بعبادة الله بما أمر والإخلاص له في العبادة وهم أهل ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة - ٥] اهـ .

وختاماً ، قال العلامة الحكمي رحمه الله :

شروط قبول السعي أن يجتمعا

الله رب العرش لا سواه

فيه إصابة وإخلاص معا

موافق الشرع الذي ارتضاه .

المبحث الثالث :-

الحكم والمتشابه من النصوص ، وموقف أهل البدع والأهواء منها:

المراد بالحكم من نصوص الكتاب والسنة : قيل :

(أ) ما اتضح معناه واستقل لفظه .

(ب) ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى .
والمتشابه قيل :

(أ) ما لم يتضح معناه .

(ب) ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره .

(ج) ما أشكل تفسيره لمشابهته لغيره .

(د) ما لا يبيىء ظاهره عن مراده .^(١)

وموضع البحث فيه والتوسع ليس في هذا المختصر ، ويمكن الرجوع إلى مضانه من كتب الأصول وعلوم
القرءان .

والمقصود هنا بيان موقف أهل الحق من نصوص الكتاب والسنة المتشابهة ، وموقف أهل البدع والأهواء
منها .

فاعلم رحماني الله وإياك : أن المتشابه من مآخذ أهل البدع والأهواء في التلقي والاستدلال ، فهم يقررونه في
مسائلهم المخالفة للحق ، وغرضهم إيهام الرعاع ومن لا علم عنده بقوة مأخذهم ، وصحة مذهبهم ،
واستنادهم إلى الدليل في التدليل للأحكام التي غابتها الضلال ومجانبة الحق .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره الأثري المشهور^(٢) عند قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
زَيْغٌ ﴾ [آل عمران - ٧] " أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴾ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ " أي يأخذون
منه المتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة ، وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه ،
فأما الحكم فلا نصيب لهم فيه ، لأنه رافع لهم وحجة عليهم لا لهم ، كما لو احتج النصارى بأن القرءان
قد نطق بأن عيسى روح الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، وتركوا الاحتجاج بقوله : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا

(١) انظر تفصيل هذه المباحث في : الحجة في بيان الحجة (١/٤٤٧-٤٤٩) ، إعلام الموقعين (٢/٢٩٤-٤٢٥) ، شرح

الكوكب المنير (٢/١٤٠-١٥٠) ، السوداء ص (١٦٩) ، البحر المحيط للزركشي (١/٤٥٠) ، التنكيل (٢/٣٣٣-٣٤٣)

، تفسير ابن جرير (٣/١٧٥-١٨٠) و (٦/١٦٩) ، الموافقات (٣/٨٥) ، الإتقان (٣/٥-٣) ، الفتاوى (١٣/٢٧٢-٢٨٣

٢٨٣) .

(٢) (١/٣٧١) .

عبد أنعمنا عليه ﴿ الزخرف - ٥٩ ﴾ وبقوله : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران - ٥٩] . وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله ، وعبد ورسول من رسل الله " اهـ .

فتبين من كلامه رحمه الله تعالى موقف أهل البدع والأهواء الزانغين عن السنة من التشابه . وقد أوضح هذا رب العالمين تعالى بقوله : ﴿ هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يتذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [آل عمران - ٧] . قال الحافظ ابن كثير رحمه الله أيضاً عند هذه الآية في تفسيره (٣٦٩ / ١) : " يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد . ومنه آيات آخر ، فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم ، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه ، وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ، ومن عكس فقد انعكس " اهـ .

قلت : قضى الله وحكم ، بأن الذين في قلوبهم زيغ ذابهم وسنتهم الأخذ بالتشابه ، فهذا الشأن عندهم في كل زمان ومكان وعلى مر العصور وتوالي الأيام ، وغاية مرادهم من إجلاب خيلهم ورجلهم في هذا الباب ، هو إضلال الخلق وإبعادهم عن السنن والآثار ، وإيقاعهم في البدع والضلالة ، وهذا غاية أمرهم ، ومنتهى قصدهم ، وثمره جهدهم ، عاملهم الله بما يستحقون .

فيا لله وبيا للأئمة المسلمين ، من هذه الفواقر التي ينتحلونها ، ويدينون بها . لقد أصبح وأضحى وأمسى الإسلام المصفى ، أمام هذه المذاهب والملل والنحل غريباً كما بدأ . فيألى الله المشتكى .

فلينظر السالك - أصح المسالك وأوضحها - من هم بحق أصحاب التحريف والتبديل ، والأخذ بالتشابه وترك الحكم ؟ . من هم الذين لم يكتفوا بما شرع لهم ، فذهبوا إلى النصوص فجنوا عليها بتلك الفواقر ؟ . فما وافق الهوى فهو الدين الذي لا يقبل الله سواه عندهم ، وما خالفه فهو الردود الذي صاحبه يوم القيامة من الخاسرين معدود ، وفي صفوف الجرمين محشود . والله ربي حسيهم ، فهو الحفيظ الودود . إنهم بعين الحق أهل البدع والأهواء ، فهذا شأنهم ، وغاية أمرهم . ومن تأمل التاريخ من أوسع أبوابه ، وجدهم إلى الشر مقبلين ومن الخير مبتعدين ، مفاتيح شر ، مغاليق خير .

فكم والله أوقعوا الناس في مرام التشابه ، وشباك الباطل . والتاريخ يحكي ما فيه ، فكم عانا إمام السنة المبجل ، أحمد بن محمد حنبل رحمه الله تعالى ، في عصره منهم . وما زال أئمة السنة بعده إلى أيامنا هذه في حرب ضروس مع هؤلاء الذين حملوا ألوية الأخذ بالتشابه ، فعبدوا العقول الناقصة ، وأماتوا السنة والآثار بما يقولونه وينتهجونه ، فآثار إضلالهم بالأئمة كبيرة لا تعد . وللمتبصر الذي جرد نفسه للاتباع ونهاها

عن الهوى والابتداع أن يقصد التاريخ من أوسع باب ، فيرجع إلى كتب السلف من الأئمة رحمه الله تعالى ، التي اعتنت بالرد على باطلهم ، وإزالة شبههم ، فيسقف على ما لا يحويه باله ، ويتألم منه ضميره ، من فعالهم في الاستدلال ، ورمي بعض النصوص على بعض ، ابتغاء فتنة العباد وإضلالهم . وأمام هذا الشر كان من فضل الله تعالى على الخليقة منذ ضرب على ظهر هذه الأرض بدعوة نبينا - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أن يسر لها من أنبائها من يحمي بيضة هذا الدين ، ويقصم الله بهم ظهر كل معتد أثيم ، فظهر الله الحق بالحجج والبراهين ساطعاً ، وكشف بهاريج الباطل على أيدهم ، فله الحمد في الأولى والآخرة ، وغاية ما يقال في الجملة أن أهل السنة والحديث هم الذين وظفوا أنفسهم لهذا المقام ، فضحوا بسببه بالغالي والرخيص ، والنفس والنفيس ، فأنعم بهم من رجال ، وأنعم بها من مقاصد حميدة و « الحمد لله الذي جعل في كل زمان فزة من الرسل بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحبون بكتاب الله الموتى ، ويصرون بنور الله أهل العصى ، فكم من قاتل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح اثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عقال الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم .

يتكلمون في التشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتق المضلين » .^(١)

فوصيتي للمتبع أنه إذا رأى من يلوي عنق النص تأويلاً وتحريفاً وانتصاراً للبدع والهوى ، أن يحذر منه ومن أمثاله من يعمد إلى التشابه من نصوص الكتاب والسنة ، فإنهم من سبى الله تعالى في كتابه ، ونطق بالتحذير منهم وجاء عن الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - النص المحكم بالتحذير منهم أيضاً ، ففي الصحيحين^(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت : « تلا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سبى الله فاحذرهم) وفي لفظ خارج الصحيحين : (قد حذركم الله فإذا رأيتموهم فاعرفوهم) . " وعند أحمد^(٣) (فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عني الله فاحذرهم) . فهذا هو

(١) كلام الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - في مقدمة كتابه « الرد على الزنادقة » .

(٢) البخاري كتاب التفسير (٤٢/٦) ومسلم كتاب العلم (٥٦/٨) وأبي داود رقم (٤٥٩٨) .

(٣) في المسند (٤٨/٦) .

حكم الله ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في هذا الصنف وعليه عمل السلف من هذه الأمة .

وأما أهل الحق فطريقتهم في تلقي النصوص معروفة ، فهم حذوا حذو سلفهم من الصحابة والتابعين ، وأئمة الهدى إلى يوم الدين فقد « كانت طريقتهم في تلقي النصوص أنهم يردون التشابه إلى احكم ويأخذون ما يفسر لهم التشابه ويبينه لهم فتتفق دلالة احكم وتوافق النصوص بعضها بعضاً ويصدق بعضها بعضاً فإنها كلها من عند الله ، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض ، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [النساء - ٨٢] . » (١)

وثبت في مسند أحمد (١٨٥/٢) بسند حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده سمع النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قوماً يتدارؤون فقال : (إنما أهلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما أنزل من كتاب الله يصدق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فكلوه إلى عالمه) .

فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يمجينا الهوى والزيف ، وأن يحفظ علينا ديننا ويتوفانا مسلمين .

(١) انظر معارج القبول للعلامة الحكي - رحمه الله تعالى - (٥٠٣/٢) .

المبحث الرابع :-

عداوة المبتدع للمتابع :-

أيها السالك اعلم وفقك الله تعالى إلى كل خير أن العداوة والخصومة بين الحق والباطل قائمة ومستمرة دائمة إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، وهذه العداوة والخصومة تتمثل مباشرة بين الحق والباطل فأهل الباطل جندوا جنودهم ، وأقبلوا بخيلهم ورجلهم لحرب الحق وقمع أهله ، والله من ورائهم محيط ، ولن يستطيعوا لذلك سبيلاً ، حتى يلج الجمل في سم الخياط ، . وهذا الصراع واضح جلي كوضوح الشمس دوغماً سحب ، فمن تأمل الكتاب متديراً لسير الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله ، مع قومهم رأى الأمر بجلاء دوغماً خفاء .

فأهل الباطل يدافعون بمراة عن باطلهم الزائف ويتمنون نكال وزوال أهل الحق دوغماً استثناء ، ويرونهم حجر عثرة أمام انتشار باطلهم . وهذا لا يخص زماناً دون زمان ، ولا مكان دون مكان ، بل يعم جميع الأزمنة والأمكنة .

ولكن مهما بلغت قوة الباطل بوسائله ومعداته ، وسطوه واستفاضته ، فإن الله لناصر دينه وشرعه ، ومعلمي أمره ونهيه ، ورافع جنده وحزبه ، والله غالب على أمره ، ومظهر حجته على خلقه ، انسهم وجنهم ، وذكرهم وأنشاهم ، وصغيرهم وكبيرهم ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . قال تعالى : ﴿ إِنَّا لِلنَّاصِرِ رُسُلْنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر - ٥١] فلو كان الباطل له قوته في يوم من الدهر ، فإن الحق له بقاؤه وظهوره ، فإذا كان هو الأقوى ، فإن الحق هو الأبقى . ما دام الليل والنهار .

ولتعلم أيها السالك ، يا من جعلت الإخلاص والإتباع سبيلاً ومنهجاً وسنة وشرعة ، أن أهل البدع والأهواء يكونون لك العداوة والبغضاء ، بل يتمنون زوالك ، ويتزقبون عن كتب منتهى أمرك ، لأنهم يرون وجودك هدد سلطانهم ، وزعزع كياناتهم ، بما تقوم به من بيان الحق والصدع به ، وتحذير الرعايا ومن لا علم عنده من البدع والضلالات بصنوفها وعمومها ، عبادة ومنهجاً وعقيدة ، فأنت من كشف للناس ضلالهم ومغبة أمرهم ، فاصبر فإن الصبر جميل ، والعاقبة للمتقين ، وهذه الحقيقة لا تكاد تحفى على ادنى متأمل ، فعداوة المبتدع وصاحب الهوى للمتابع صاحب الحق أوضح من شمس النهار « لأن المتابع يعادي المبتدع لبدعته ، والمبتدع يعادي المتابع لاتباعه ، وكونه على الصواب » ^(١) والباحث المتابع لتراجم أئمة السلف من أهل الاتباع ، وقمع الابتداع ، والأهواء ، يجد ما يكشف الحقيقة ويجليها دوغماً خفاء ، فكم عانوا من تبعاتهم ، وصبروا على طعنهم وتشهيرهم ، فذاك الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، ومن

(١) قطر الولي للشوكاني - رحمه الله تعالى - ص (٢٥٩).

جاء قبله من حملة الهدى ، ومن جاء بعده ممن تبع أثرهم ، وسلك مسلكهم جميعاً بما لا يحصىه كتاب ، ولا خطر على بال ، والوقوف على ما حصل لكل فرد من أفرادهم ، واستقصاء هذا الأمر يطول ، فرحمهم الله تعالى وعظم أجرهم جميعاً .

ومن المهم لما يجب إلحاقه في هذا الموضع أن يعلم عداوة المبتدعة وأصحاب الأهواء لأهل الحديث والأثر ، فيغضهم عندهم أرفع القرب وأشرفها . وإلى الله المشتكى .

فكم سبوا وشتموا ورموا بالعظائم ، هؤلاء الأبرياء الأتقياء من حملة العلم والهدى ، فزهدوا الناس عنهم ، ورغبوهم في غيرهم ، وهذه بليتهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

ذكر الحاكم أبو عبد الله رحمه الله تعالى في معرفة علوم الحديث ^(١) عن أبي الحسين بن علي الحافظ أنه قال : سمعت جعفر بن محمد بن سنان الواسطي يقول : سمعت أحمد بن سنان القطان يقول : " ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغيض أصحاب الحديث ؛ وإذا ابتدع الرجل نزع حلالة الحديث من قلبه ... " قال أبو عبد الله الحاكم رحمه الله تعالى : " وعلى هذا عهدنا في أسفارنا وأوطاننا كل من ينتسب إلى نوع من الإلحاد والبدع ، لا ينظر إلى الطائفة المنصورة إلا بعين الحقارة ويسميها الخشوية " . اهـ

فلكم الله يا أهل الحديث ، لقد علموا وأيقنوا أنكم بحق حملة الآثار ، وأنكم من وظف نفسه في الدفاع عن السنة والذب عنها كل دخيل عليها وليس منها ، وأنكم من ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين يقولون على الله ما لا يعلمون ، فجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأكملهم وأتمه ، ولن يضركم صديد ألسنتهم التي وجهوها إليكم ، فإن العاقبة لكم والنصر حليفكم ، والله معكم ، ولن يترككم أعمالكم ، وخذوا ما سطره ابن القيم رحمه الله تعالى ، فاجعلوا نصب أعينكم ، إذ قال في مدارج السالكين (١٩٩/٣) : " فإذا أراد المؤمن الذي رزقه الله بصيرة في دينه ، وفقهاً في سنة رسوله وفهماً في كتابه وأراه ما الناس فيه من الأهواء والبدع والضلالات ، وتكبههم عن الصراط المستقيم ، الذي كان عليه رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأصحابه ، فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط فليوطن نفسه على قدح الجهال وأهل البدع فيه ، وطمعهم عليه وإزرائهم به ، وتنفير الناس عنه ، وتحذيرهم منه ، كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فأما إن دعاهم إلى ذلك القدح فيما هم عليه فهناك تقوم قيامتهم ، ويبغون له الغوائل ، وينصبون له الحبال ، ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورجله " . اهـ

هذا ، فهم ساروا على ما سار عليه أسلافهم ، في قدح أهل الحديث ، والشماتة بهم ، فحذو حذوهم ، ولهذا فإن « شعار أهل السنة والجماعة أصبح عند كثير من الناس دعوى لا مضمون لها ، وشعاراً لا يراد التزامه ، فالسبيل والحالة هذه هو الثبوت من تطبيق هذا الشعار والتزامه بكل ما يدل عليه ، نفياً لكل ما يخالفه من تأصيل أو عمل أو اعتقاد ، وإثباتاً لكل ما يستلزم من اعتقاد وتأصيل وعمل وولاء ، فكل ما تولاه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - من اعتقاد أو عمل أو علم أو قول . وبراءة من كل ما تبرؤوا منه . ولا يكفي لتحقيق الالتزام بهذا المنهج أخذ أجزاء منه وترك أجزاء أو جزء ، فكل فرقة من الفرق قد أخذت بشيء منه ولم تكن بذلك من أهله ، فانظروا آثارهم ، واعتبروا بعواقبهم » .^(١) " وسلوا الله الثبات على الحق حتى لقاءه سبحانه وتعالى ، فنحن في زمن حل في ديار المسلمين وأوطانهم من الفتن والإحز ، والملل والنحل ، والتحزبات المحرمة ما أورث الحليم الحيرة ، فكم رفع من خفضه الله ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وكم خفض من رفع الله ورسوله . وليت شعري متى سيفيق الغافل من غفلته ، ويؤوب الظالم من ظلمه ، ويرجع المتدع عن بدعته ، فهناك توضع الموازين وينزل الناس منازلهم ، كل بحسب ما قسم الله له . ويعجني كثيراً ما قاله العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله عليه وهو يشكو ظلم الناس له قاتلاً^(٢) :

فمثلك مغبوط كثير حواسده
خير الورى واصبر على ما تكابده
من الدين فاعلم يابن ودي معاهده
يقولون هذا مورد ظل وارده
يقولون هذا عالم العصر واحده
جهولاً يعادي الحق ثم يعانده
ألا عاضداً يالرجال تعاضده
فمن كان منشوداً فإني ناشده
أنهجر من قول الرسول موائده
ويقبل في الدين المطهر جاحده
بفيض دموع مترعات موارده
غدت في عقوق من بنيها تكابده
بهديك وهو العذب فينا موارده

وإن كنت محسوداً على ما حوبته
فشم على اسم الله في نشر سنة
فإنك في دهر به قد تنكرت
إذا قلت قال الله قال رسوله
وإن قلت هذا قرنته مشايخ
فلا قدس الرحمن عصراً ترى به
ألا ناصراً للدين دين محمد
ألا غاضباً يوماً لسنة أحمد
ألا يا معشر الأعلام هل من هية
أينكر معروف ويعرف منكراً
لبيك عيون العلم فهي جديرة
لبيك عيون الأمهات فإنها
ألا يا رسول الله قوم تلاعبت

(١) نقلاً عن « ما أنا عليه والأصحاب » لأحمد بن سلام - حفظه الله تعالى - ص (٦٨) .

(٢) كما في البدر الطالع (١٠٥/٢) . ترجمة محمد بن أحمد بن سعد الساعدي .

والمقصود الأعظم هنا أن ابنه هؤلاء إن كانت للغة الكتابة عندهم جدوى . فليعلموا أن أهل الحديث ، وحلة الآثار ، وأئمة السنة هم خير الناس ، فلقد عمل فضلهم الحاضر والباد ، والذكر والأئمة من المسلمين ، فهم على الحق سائرين . ولو طالعت بعين الإنصاف كتبهم ومصنفاتهم من أولها إلى آخرها ، صغيرها وكبيرها ، قديمها وحديثها ، لوجدتها وألفتها مع اختلاف أماكنهم وأزمانهم وأشخاصهم في باب الاعتقاد والأحكام على وتيرة واحدة ، ونقط واحد ، ونهج واحد ، ونقلهم لا ترى فيه اختلافاً ولا اضطراباً في شيء قل أو كثر ، ولعل هذا راجع إلى كونهم أخذوا الدين من السنة والكتاب على طريقة النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - والأصحاب ، فأورثهم الاتفاق والاتلاف ، وموافقة الصواب ، فصيغهم المفروض التوقير والإجلال ، ففضائلهم لا يحصيها بال ، ولا يستطيع حصرها الرجال ، فرحم الله امرأة أنصف من نفسه ، وعرف قدرها ، وأنزل الناس منازلهم التي أنزلهم الله إياها .

قيل لخفص ابن غياث رحمه الله ^(١) : " ألا تنظر إلى أصحاب الحديث وما هم فيه . قال : هم خير الناس " . وقال أبو بكر ابن عياش رحمه الله ^(٢) : " إني لأرجو أن يكون أصحاب الحديث خير الناس " . قال أبو عبد الله الحاكم رحمه الله ^(٣) : " ولقد صدقا جميعاً أن أصحاب الحديث خير الناس ، وكيف لا يكونوا كذلك وقد نبذوا الدنيا بأسرها ورأيتهم ، وجعلوا غذائهم الكتابة ، وسمهم المعارضة ، واسترواحهم المذاكرة ، وخلوفهم المداد ، ... إلى أن قال رحمه الله : فعقوبهم بلذاذة السنة غامرة ، وقلوبهم بالرضى في الأحوال عامرة ، تعلم السنن سرورهم ، ومجالس العلم جورهم ، وأهل السنة قاطبة إخوانهم ، وأهل البدع بأسرها أعدائهم .

سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول : " سمعت أبا إسماعيل محمد بن إسماعيل الكندي يقول : كنت أنا وأحمد بن الحسين الترمذي عند أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل فقال له أحمد بن الحسين : يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال : أصحاب الحديث قوم سوء . فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه فقال : " زنديق . زنديق . زنديق " ودخل البيت " . اهـ وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى كما في المحدث الفاصل ^(٤) : " اعترض طائفة ممن يشنأ الحديث ويغض أهله . فقالوا بتنقص أصحاب الحديث ، والازراء بهم ، وأسرفوا في ذمهم والتقول عليهم ، وقد شرف الله الحديث وفضل أهله ، وأعلى منزلته ، وحكمه في كل محلة ، وقدمه على كل علم

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم - رحمه الله تعالى - ص (٣) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) انظر المحدث الفاصل له ص (١٥٩-١٦٩) .

، ورفع من ذكر من حمله وعنى به ، فهم بيضة الدين وثمار الحجة ، وكيف لا يستوجبون الفضيلة ولا يستحقون الرتبة الرفيعة ، وهم الذين حفظوا على الأمة هذا الدين ، وأخبروا عن انباء التنزيل ، وأثبتوا ناسخة ومنسوخة ، ومحكمه ومتشابهة ، وما عظمه الله عز وجل به من شأن الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - . فنقلوا شرائعه ، ودونوا مشاهدته ، وصنفوا اعلامه ودقائقه ، وحققوا مناقب عثرته ، وماثر آياته وعشيرته ، وجاؤا بسير الأنبياء ، ومقامات الأولياء ، وأخبار الشهداء والصديقين ، وعبروا عن جميع فعل النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في سفره وحضره ، وضعفه وإقامته ، وسائر أحواله ، ومن منام ويقظة ، وإشارة وتصريح ، وصمت ونطق ، ونهوض وقعود ، ومأكل ومشرب ، وملبس ومركب ، وما كان سبيله في حال الرضى والسخط ، والإنكار والقبول . حتى القلامة من ضفره ما كان يصنع بها ، والنخامة من فيه ابن كان وجهتها ، وما كان يقوله عند كل فعل يحدثه ويفعله عند كل موقف ومتشهد يشهده ، تعظيماً له - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ومعرفة بأقدار ما ذكر عنه واسند إليه ؟ .

فمن عرف للإسلام حقه ، وأوجب للرسول حرمة ، أكبر أن يحتقر من عظم الله شأنه وأعلى مكانه ، وأظهر حجته وأبان فضيلته ، ولم يرتق بطعنه إلى حزب الرسول واتباع الوحي وأوعية الدين ونقله الأحكام والقرآن ، والذين ذكرهم الله عز وجل في التنزيل فقال : ﴿ والذين اتبعوهم بإحسان ﴾ [التوبة - ١٠٠] اهـ .

وساق رحمه الله بسنده إلى الإمام سفيان الثوري رحمه الله انه قال : " ما من شيء أخوف عندي من الحديث ، ولا شيء أفضل منه لمن اراد به ما عند الله " . ثم روى عن الإمام الأعمش رحمه الله . بإسناده أنه كان يقول : " لا أعلم لله قوماً أفضل من قوم يطلبون هذا الحديث ، ويجيئون هذه السنة ، والله لأنتم أقل من الذهب " .

ورحم الله أبا طاهر السلفي إذ يقول ^(١) :

يا قاصداً علم الحديث يذمه	إذ ضل عن طرق الهداية وهمه
إن العلوم كما علمت كثيرة	وأجلها فقه الحديث وعلمه
من كان طالبه وفيه تيقظ	فأتم سهم في المعالي سهمه
لولا الحديث وأهله لم يستقم	دين النبي وشذ عنا حكمه
وإذا استزاب بقولنا متحذلق	ما كان فهم في البسيطة فهمه

إن أهل الحديث هم مصابيح الدجى ، وأئمة الهدى ، يصرون الناس بالسنن والآثار ، فهم ورثة الأنبياء

(١) انظر كتاب « أبو طاهر السلفي » للدكتور حسن بن عبد الحميد ص (١٧٩-١٨١) .

وصدق من قال فيهم ^(١) :

أئمة أصحاب الحديث الأفاضل
 هم رتب علیا وأسنی الفضائل
 ولم تك فتوى فی فنون المسائل
 نعم حفظوها ناقلاً بعد ناقلاً
 لقد أحرزوا فضلاً علی كل فاضل
 فمن فاتهم یحصى بغير الفضائل

أحق الناس يستضاء بهديهم
 خلائق أصحاب الحديث ذور الحمی
 فلولا هم لم يعرف الشرع عالم
 وهل نشر الآثار قوم سواهم ؟
 فديتهم من عصبة العلم والهدی
 هم القوم لا یشق لعمري جلیسهم

وما احسن ما قال الحافظ أبو محمد هبة الله بن الحسن الشیرازی منشداً فيهم (١):

علی منهج للدين ما زال معجماً
 إذا ما دجا الليل البهيم وأظلماً
 وأعمى البرایا من إلی البدع انتمی
 وهل یترك الآثار من كان مسلماً؟

علیک بأصحاب الحديث فإنهم
 وما النور إلا فی الحديث وأهلہ
 فأعلی البرایا من إلی السنن اعتزى
 ومن ترك الآثار فقد ضل سعيه

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه النفيس شرف أصحاب الحديث: " فلو أن صاحب الرأي المذموم شغل نفسه بما ينفعه من العلوم ، وطلب سنن رسول رب العالمين ، واقتفى آثار الفقهاء المحدثين ، لوجد في ذلك ما يغنيه عما سواه ، واكتفى بالأثر عن رأيه الذي رآه ، لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد ، وبيان ما جاء من الوعد والوعيد ، وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين ، والإخبار عن صفة الجنة والنار من صنوف العجائب وعظيم الآيات ، وذكر الملائكة المقربين ونعت الصافين والمسيحين ... إلى قوله رحمه الله : " وقد جعل الله أهله أركان الشريعة ، وهدم بهم كل بدعة شنيعة ، فهم أمناء الله في خليقته ، والواسطة بين النبي وأمته ، والمجتهدون في حفظ ملته ، أنوارهم زاهرة ، وفضائلهم سائرة ، وآياتهم باهرة ، ومذاهبهم ظاهرة ، وحججهم قاهرة ، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه ، تستحسن رأياً تعكف عليه ، سوى أصحاب الحديث فإن الكتاب عدتهم ، والسنة حجتهم ، والرسول فتنهم وإليه نسبتهم ، لا يعرجون على الأهواء ، ولا يلتفتون إلى الآراء ، يقبل منهم ما رووا عن الرسول ، وهم المأمونون عليه العادل ، حفظة الدين وخزنته ، وواعية العلم وحملته ، إذا اختلف في الحديث كان إليهم الرجوع ، فما حكموا به فهو المقبول المسموع ، منهم كل عالم فقيه ، وإمام رفيع نبیه ، وزاهد في قبيلته ، مخلص بفضيلته ، وقارئ متقن ،

(١) هو محمد بن محمد المديني . انظر مقدمة تحفة الأحوذى ص (١٨) .

(٢) أوردها ابن الوزير في الروض الباسم (٧ / ١) .

وخطيب محسن ، وهم الجمهور العظيم ، وسبيلهم المستقيم ، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر ، وعلى الإفصاح بغير مذهبهم لا يتجاسر ، من كادهم قصمه الله ، ومن عاندهم خذله الله ، ولا يضرهم من خذلهم ، ولا يفلح من اعتزلهم ، الخطاط لدينه إلى إرشادهم فقير ، وبصر الناظرين إليهم بالشر حسير ، وإن الله على نصرهم لقدير . " اهـ

قال الإمام الصوري رحمه الله ^(١) ونعم ما قال فيهم :

قل لمن عاند الحديث وأضحى عائباً أهله ومن يدعيه
أبعلم تقول هذا أبني لي أم بجهل فالجهل خلق السفية
أيعاب الذين هم حفظوا الديب من من الزاهات والتمويه
وإلى قولهم وما قد روه راجع كل عام وفقية.

وليعلم الجاهل الحاقداً ، أن أهل الحديث والأثر لا يهتفون بهذا منه ، بل تنقصهم والتزهيد عنهم وعن كتبهم لا يزيدهم إلا رفعة ، ولا يزيد الناس إلا إقبالاً عليهم .

وليتك أيها الحاقداً ما تكلمت لأنك ناقص ، ومرتبك وضيفة . وصدق من قال :

وإذا أتت مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

وقال الآخر :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يهتها وأوهى قرنه الوعل

إنك أيها الحاقداً إذا لم تحف الله في أقوالك وصنيعك ، فمن غير الله يستحق أن يخاف منه ويستحي منه .

إذا لم تصن عرضاً ولم تحش خالقاً وتستح مخلوقاً فما شئت فاصنع

فأنت أيها الحاقداً الطاعن في أهل السنة ممن قل ماء وجهه فقل حياؤه .

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

حياؤك فاحفظه عليك فإنما يدل على فعل الكريم حياؤه

فالناظر إليكم يا أهل الاتباع ، وحلة السنة والآثار ، بالعين العوراء والمنظار الأسود ، والنظرات الشريفة ، ممن أنكر فضلكم على الأمة ، ودفاعكم وذبيكم عن السنة ، ذلك الذي انقلب عنده الميزان العادل ، واختلط عنده الحق بالباطل ، والحابل بالنابل ، فلم يستطع أن يميز بين الاتباع والابتداع ، فحاله كما يقول القائل :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم.

(١) هو محمد بن علي بن عبد الله . من مشايخ الخطيب توفي سنة (٤٤٩) هـ . ترجمته في المنتظم لابن الجوزي (٨ / ١٤٣) .

والسير (١٧ / ٦٢٧) و تاريخ بغداد (٣ / ١٠٣) .

إن مرض عيونهم ورمدها الهوى والبدع ، وسقم أفواههم التنقص من أهل الفضل ورواد العلم ، فلم يسلموا أحداً من ثلبهم وشتمهم وتنقصهم ، وصدق من قال :

ولست بنجاح من مقالة طاعن ولو كنت في غار على جبل وعر
ومن ذا الذي ينجوا من الناس سالماً ولو غاب عنهم بين خافقي نسر

والعجب أنك تجد في صفوف هؤلاء الشائنين من كانوا طلاب علم عند مشايخنا وعلمائنا ، فلما قروا استحوذ عليهم الشيطان وأقعدهم ، ففرقوا في بحر التحزب ، وافتنوا بالمادة وسال لعابهم وراء المال ، وطعنوا في شيوخيهم ، ورموهم بكل عظمة ، وارضدوا لهم الغوائل ، وتتبعوا أخطائهم وعثراتهم بقصد التشنيع والتزهيد عنهم . وصدق الإمام الشوكاني رحمه الله إذ قال ^(١) :

هم اخذوا عني العلوم بذلة فلما حووها عاملوني بغلظة
هم اظهروا عند اللقاء ليونة فلما تولوا اظهروا كل شدة
هم اخرس إن قلت الصواب وإن أقل خطأ يطيروا في الملاء بغلطتي
هم نقلوا عني الذي لم أقل به هم أوحشوا بيني وبين أجنبي

وماذا عسى هؤلاء يجنون ؟ إنه الفساد الدائم في دينهم وديناهم ، والخسران المبين والإثم المتين ، والعاقبة بعد ذلك للمتقين .

فلأهل الاتباع من علمائنا ومشايخنا - أهل الحديث - بمن قبلهم عبرة وعظة ، فقد عاشوا في أوساط السدم والتنقص من قبل أهل الأهواء والبدع ، ولكن كان بعد ذلك لهم لسان الصدق في الآخرين ، وكان أمرهم الأعلى ، وذكرهم الأسى ، والأمر كما قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه الله تعالى : " وهذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحر في المعارف العلمية ، ويفوق أهل عصره ، ويدين بالكتاب والسنة ، فإنه لا بد أن يستكره المقصرون ، ويقع له معهم محنة بعد محنة ، ثم يكون أمره هو الأعلى ، وقوله هو الأولى ، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين ، ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره . " اهـ ^(٢)

فتلمس أخطاء هؤلاء الأئمة الفحول وتتبع زلاتهم لا يصدر إلا من أحد ثلاثة : -

١- صاحب هوى يسعى لانتقاص أئمة الهدى وأهل العلم والفضل ، ويريد أن يحول بين الأمة وبين الاقتداء بعلمائها ، فيطعن فيهم ، ويشوه سمعتهم .

٢- مبتدع يتلمس أدلته وبراهينه من أخطاء الأئمة والعلماء وزلاتهم لينصر بدعته ويقوي حجته كفعل

(١) انظر ديوان أسلاك الجوهر ص (١٠٥) نقلاً عن مقدمة الفارق بين المصنف والسارق ص (٣٣) . بتحقيق الشيخ علي

الحلي - حفظه الله ورعاه - .

(٢) البدر الطالع (٦٥/١) . ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - .

إتصاف النورى بما تيسر من أحكام البدعة والهوى

الذي يستدل على جواز التشيع بوقوع بعض الأئمة فيه . كالإمام عبد الرزاق بن همام رحمه الله . أو على جواز التأويل بفعل بعض الأئمة كالإمام البيهقي والنووي رحمهما الله تعالى .

٣- جأهل متعالم مغرور يريد أن يظهر من خلال نقده للآخرين .

ثم ليعلم أن الذي لا يرى لعلمائنا المعاصرين فضلاً أنه جأهل من الجهاال أو صاحب هوى أو مبتدع من المبتدعة .

وبالجملة : - فمن أراد أن يزن الرجال فيزينهم بالميزان الشرعي ، ميزان العلم النافع والعمل الصالح ، الذي هو حقيقة التقوى كما قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ [الحجرات - ١٣] . وبقدر علم الرجل وإخلاصه واتباعه يعلم فضله ومنزلته .

فليحذر طالب الحق من استعمال ميزان فقه الواقع المزعوم ^(١) فيزن به الرجال ، فإن مفاسده أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر . لقد أصبح وأضحى وأمسى حملة الهدى وأئمة الدين به مطعونين ، وأهل البدع والأهواء وأئمة الزيغ والضلال به مرفوعين .

إن هذا الميزان ما أنزل الله به سلطان ، وليس عليه أثارة من برهان ، بل جيء به من أجل اتهام علماء الأمة به والدخول في باب جرحهم والطعن بهم . فليكن طالب الحق من هذا الميزان حذراً .

إن أهل الأهواء وذو الجهل من الرعاع ، ومن لا علم عنده ، وصلوا من خلال هذا الميزان إلى الطعن بأئمة الإسلام وعلماء الدين ، الذين علم فضلهم الحاضر والباد ، والذكر والأنثى ، كأمثال : العلامة محدث العصر محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله تعالى - وكذا سماحة الشيخ الفاضل عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله تعالى - وهكذا شيخنا محدث الديار اليمنية أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي - حفظه الله تعالى وعافاه الله من أوجاعه وآلامه - وهكذا الشيخ الفقيه الأصولي محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله تعالى ونفع به - وغير هؤلاء من حملة العلم ، وحماة السنة في سائر المعمورة .

وما ذنبهم ؟ هل لكونهم خالفوا الكتاب والسنة ؟ أو دعوا إلى تحزب وفرقة ؟ كلا والله وإنما هو الغل والحقد والحسد من الواقع والطاعن فيهم - أعاذنا الله جميعاً منهم - وحال هؤلاء الطاعين هو كما نظم العلامة محمد بن إبراهيم الوزير - رحمه الله تعالى - لأحد شيوخه قائلاً ^(٢) ونعم ما قال :

عرفت قدري ثم أنكرته فما عدا بالله مما بدا
وكل يوم لك بي موقف أسرفت بالقول بسوء البدا

(١) الذي حقيقته تتبع مقالات الغربيين وتحليلها بقصد تعظيم ما هم عليه ، وهكذا ما يرد في إذاعاتهم المسموعة والمرئية .

(٢) البدر الطالع في ترجمته - رحمه الله تعالى - (٩٣/٢) .

ياليت شعري كيف نضحى غدا

أمس الشتاء واليوم سوء الأذى

﴿ ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ [آل عمران - ٨] ^(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في مجموع الفتاوى (٢٣١/٢٠ - ٢٣٢) : " وبعد : فيجب على المسلمين بعد مولاة الله ورسوله ، مولاة المؤمنين ، كما نطق القرآن ، خصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر ، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرابتهم . إن كل أمة قبل مبعث محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فعلماءها شرارها إلا المسلمين ، فإن علماءهم خيارهم ، فإنهم خلفاء الرسول في أمته ، وأحيون لما مات من سنته ، بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا " . اهـ

(١) أنصح بقراءة كتاب الشيخ الفاضل : ربيع بن هادي المدخلي - حفظه الله تعالى ورعاه - « أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الفرقة الناجية . »

الفصل الثاني

المبحث الأول :

اتباع الهوى أساس الضلال ومنشؤ البدع:-

جاء في لسان العرب ^(١) ((أهل الأهواء : وأحدها هوى ، وكل فارغ هواء ، وفي التنزيل ﴿ وأفئدتهم هواء ﴾ [إبراهيم - ٤٣] يقال فيه : أنه لا عقول لهم . قال ابن الجوزي : " كل خال هوى وهوى بالفتح يهوى هويّاً سقط من فوق إلى أسفل ")) .

والهوى مقصور : هوى النفس ، وهوى النفس إرادتها ، والجمع : الأهواء . قال اللغويون : الهوى محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه . قال الله عز وجل : ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ [النازعات - ٤٠] معناه نهاها عن شهواتها وما تدعوا إليه من معاصي الله عز وجل ، ومتى تكلم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً حتى ينعت بما يخرج معناه كقوله هوى حسن وهوى موافق الصواب . واستهوته الشياطين : ذهبت بهواه وعقله ، وقيل استهوته استهاته وحيرته ، وهواية والهواية : إسم من أسماء جهنم . " اهـ

إن اتباع الهوى باب من أبواب الضلال ، وسبب من أسباب التفرق والاختلاف ، فلهذا أفرزناه في كتابنا بهذا المبحث ، لعظم خطره فهو الداء العضال وراس كل بدعة وضلال .

فالهوى قد ذم في أكثر من آية ، فأخبر سبحانه وتعالى أن اتباع الهوى يضل عن سبيله قال تعالى : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [ص - ٢٦] وأخبرنا تعالى أن اتباع الهوى يطع على قلب العبد فقال تعالى : ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهوائهم ﴾ [محمد - ١٦] وجعل الله عز وجل لمن خاف مقامه ونهى النفس عن الهوى الجنة فهي مأواه .

قال تعالى : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ [النازعات - ٤٠-٤١] فجعل مخالفة الهوى وعدم اتباعه طريقاً إلى الجنة ، وسبب ذلك أن العبد إذا قهر هواه وغلبه وخالفه ولد ذلك في قلبه لذة في الطاعة فيحس بها العبد ، فيمثل أوامر الله عز وجل . قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى " وفي قوة قهر الهوى لذة تزيد على كل لذة ألا ترى إلى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلاً ، لأنه قهر بخلاف غالب الهوى ، فإنه يكون قوي القلب عزيزاً لأنه قهر " ^(٢) .

وليعلم الناظر المتبصر أن اتباع الهوى من المهلكات ، لما ثبت عند البزار وأبي نعيم في الحلية من حديث قتادة عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - :

(١) لسان العرب لابن منظور (١٥/٣٧٠-٣٧٣) .

(٢) صيد الخاطر ص (٥٧) .

ثلاث مهلكات وثلاث منجيات ، فالمهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه ؛ والمنجيات : تقوى الله تعالى في السر والعلانية ، والعدل في الغضب والرضى والقصد في الفقر والغنى .^(١) وقد حكم الله عز وجل لمن اتبع هواه بغير هدى منه سبحانه وتعالى بأنه أظلم الظالمين فقال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُتَّبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص - ٥٠] .

وجعل الله الشيء المتبع قسمين لا ثالث لهما :

إما ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، وإما الهوى ، فمن اتبع أحدهما اتباعاً كلياً لم يمكن من اتباع الآخر وعلى هذا الناس بهذا الاعتبار قسمان :

١- اتباع الوحي .

٢- اتباع الهوى . وهذا كثير في القرءان . كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُتَّبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [القصص - ٥٠] وقال تعالى : ﴿ وَلَنْ اتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْ تَهْتَدِ لَمْ يَهْدِ اللَّهُ أَهْلَ الْبَقَرَةِ - ١٢٠ ﴾ . وغير ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " وأتباع الأهواء في الديانات أعظم من أتباع الأهواء في الشهوات ، فإن الأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين . كما قال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُتَّبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص - ٥٠] . وقال تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِي سَوَاءٍ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [الروم - ٢٨] . وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثُرَ لِيَضِلُّوا بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأنعام - ١١٩] . وقال تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَنْ اتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة - ١٢٠] . وقال في الآية الأخرى : ﴿ وَلَنْ اتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْ تَهْتَدِ لَمْ يَهْدِ اللَّهُ أَهْلَ الْبَقَرَةِ - ١٢٠ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة - ٤٩] . ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسويين إلى العلماء والعباد يجعل من أهل الأهواء كما كان السلف رحمهم الله يسمونهم أهل الأهواء .

(١) البزار رقم (٨٠) والحيلى (٢/ ٣٤٣) وأخرجه القضاى فى مسند الشهاب رقم (٣٢٥) وله طرق وهو صحيح .

انظر صحيح الجامع رقم (٣٠٤٥) .

وذلك أن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه ، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، ولهذا قال تعالى في موضع : ﴿ وإن كثيراً يضلون بأهوائهم بغير علم ﴾ . [الأنعام - ١١٩] وقال في موضع آخر : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص - ٥٠] .^(١)

ولهذا فالشيطان له باب واسع من الهوى ، وهو يدور حول المرء فلا يجد شيئاً يدخل منه إلا الهوى ، فلهذا لا تطاق مخالفة الهوى إلا بالرغبة في الله وثوابه والخشية من حجابهِ وعذابه ، ووجد حلالة الشفاء في مخالفة الهوى ، فإن متابعتها الداء الأكبر ، ومخالفتها الشفاء الأعظم . قيل لأبي القاسم الجنيد رحمه الله : " متى تنال النفوس منها ؟ فقال : " إذا صار دأؤها دواها .

فقليل له : ومتى يصير دأؤها دواها ؟ فقال : إذا خالفت هواها . " ومعنى يصير دأؤها دواها ، أن داءها هو الهوى ، فإذا خالفتها تداوت منه بمخالفتها .

وقيل إنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه إلى أسفل السافلين .

وأهل الأهواء بهذه الأهواء التي ألفوها ، لا يستطيعون تركها ، لأنها قد صارت عندهم بمنزلة العيش الذي لا بد منه ، والذي صار حاله كهذه الحالة المتردية تجده يلقي بنفسه في المهالك ، لنيل ما تطالبه به العادة وما يرسمه له الهوى ، فصار عبداً هواه وشهوته ، فأداه هذا إلى الوقوع في البدع والضلالات . ولهذا كان اتباع الهوى من أكبر عوامل وجود البدع ، وتفشيها في أقطار الأرض ، وخصوصاً إذا اجتمع الهوى مع الجهل ، فهناك الطامة الكبرى يوم يتوهم أن ما ظهر له بجهله وهواه بعقله هو الطريق المستقيم لا غير ، فيمضي في هذا المتوال فيحيد عن الحق وهو ضال حيث ظن أنه راكب للجادة .

ولهذا الأمر العظيم نجد أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر أن متبع الهوى اتخذها من دونه وذلك في موضعين من كتابه ، ففي الفرقان [٤٣] قوله تعالى : ﴿ أرعيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً ﴾ . وفي الجاثية [٢٣] قوله تعالى : ﴿ أرعيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ . قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره (١٦٢/٤) ﴿ وأضله الله على علم ﴾ . " يحتمل قولين : أحدهما : وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك .

والآخر : وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه . والثاني يستلزم الأول ولا ينعكس " . اهـ فالأمر كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : " إنه ما من يوم إلا والهوى والعقل يعتلجان في صاحبهما ، فأيهما قوي على صاحبه طرده وتحكم وكان الحكم له ، قال أبو الدرداء : " إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعلمه ، فإن كان علمه تبعاً هواه فيومه يوم سوء ، وإن كان هواه تبعاً لعلمه فيومه يوم صالح " .

ويا لله كم أغلق اتباع الهوى على صاحبه من ابواب التوفيق ، وفتح له من ابواب الخذلان فتراه يلهج بأن الله لو وفقه لكان كذا وكذا ، وقد سد على نفسه طرق التوفيق باتباعه هواه .

قال الفضيل بن عياض : " من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق " .
وبالجملة : - فاهوى ما خالط شيئاً إلا أفسده ، فإن كان وقع في العلم أخرجه إلى البدعة والضلال والقول على الله بلا علم ، وصار صاحبه من جملة أهل الأهواء ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . وإن كان وقع في الزهد ، أخرج صاحبه إلى الرياء ومصانعة المخلوقين ، وحرّم موافقة السنة والاتباع . وإن كان وقع في الحكم أخرج صاحبه إلى الظلم ، وصدّه عن الحق فهو من الغاوين . وإن كان وقع في القسمة ، خرجت عن كونها قسمة عدل إلى قسمة ظلم وجور . وإن كان وقع في الولاية والعزل أخرج صاحبه إلى خيانة الله ورسوله والمؤمنين ، حيث يولي بهواه ويعزل بهواه . وإن كان وقع في العبادة خرجت عن أن تكون طاعة وقربة يتغى بها وجه الله تعالى . فما قارن شيئاً إلا أفسده وأخل به .

وقد ضرب الله أسوأ الأمثال بتشبيهه متبع الهوى بأخس الحيوانات وأرذلها . قال تعالى : ﴿ ولكنّه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ الآية [الأعراف - ١٧٥] .
نسأل الله العلي العظيم أن يعيننا على سلوك الحق ، وإن يجنبنا مسالك الزيغ والهوى .

وهكذا ينبغي للعبد أن يتضرع بين يدي مولاه بأن يجنبه الهوى ، فقد جاء عند الطبراني بسند صحيح عن قطبة بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال : " كان رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يدعو بهذه الكلمات : (اللهم جنبني المنكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء) . " ^(١)

وفق الله الجميع إلى مسالك التقوى والرضى ، وجنبنا الزيغ واتباع الهوى .
ولعل في هذا القدر كفاية للمتبصر ، ودراية للمتأمل ، وهو كلام مستفاد من مواضع متفرقة من كتب العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى .

(١) أخرجه الطبراني في الدعاء (٣/١٤٤٧) وانظر الجامع الصحيح لشيخنا - حفظه الله تعالى - (١/٢٠٩) .

البحث الثاني :-

لزوم الاتباع والحذر من الابتداع :-

من المعلوم ضرورة أن الدين قد تم بموته - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فهو لم يزك خيراً إلا ودل الأمة عليه ولا شراً إلا حذر الأمة منه ، فزكنا على الحججة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك . جاء في البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لمسروق : " من حدثك أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كتم شيئاً من الوحي فلا تصدقه إن الله تعالى يقول : ﴿ يأيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ [المائدة - ٦٧] . وفي لفظ لمسلم : " من زعم أن محمداً - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : ﴿ يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ . ^(١)

فلا مجال للزيادة في دين الله عز وجل ، ولا لاستحسان العقول ، بل هو الاتباع وترك الابتداع ، وعلى العبد أن يحذر من مشاققة الله ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، ولتذكر ولتدبر في كل لحظة من لحظاته ، وسكنة من سكناته ، وعيد الله تعالى بقوله : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ [النساء - ١١٥] . ويكأن المبتدعة هم كفل منها ونصيب وافر . وهو وعيد والله تخر منه أجساد أهل الاتباع ، وتلين قلوبهم وتنزجر عن الابتداع . فهذا تبصير للمتبع ، ووعيد وزجر للمبتدع ، ليكون على حذر تام من الزيادة والنقصان في دين الله سبحانه وتعالى وشرعه التام .

فمن لم يكتف بما شرع الله له فلا كفاه الله بل الشر إليه مقبل ، والخير منه مدبر ، وويل له يوم يضل ويشقى ، ويوليه الله ما تولى ، فيخسر بذلك الدين والدنيا ، بل من له في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ، يوم لا يضيع فيه الحق ، ولا يسانده فيه الباطل . فلمن كان هذا حاله ، وعلى الدرب دأبه وما له يقول الله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [آل عمران - ٨٥] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره (٣٢٦/١) : " أي من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه " .

قلت : فالإسلام الخلى بالألف واللام في الآية هو ما جاء به سيد الأنام محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، على التمام ، بما سنه وشرعه من السنن والأحكام في العبادات ، وما يجري من المعاملات بين الأنام ، فمن أتى بشيء ليس منه ولا عليه أثارة من علم إنما هو مستحدث ، ما أنزل الله به من سلطان ،

(١) البخاري كتاب التوحيد (٥٠٣/١٣) رقم (٧٥٣١) ومسلم (١٥٢/١٠) رقم (٢٨٧) .

فليعض على أنامله ، فويل له من الخذلان ، يوم أن يصير عمله هباءً منثوراً ، ما له من حساب ، فيجي بهذا الخسران ، وسوء العاقبة . فإذا كان هذا هو حال من حاد الله ورسوله من أهل البدع والأهواء ، فليكن المتبصر والسالك على الحق على حذر من مجالسته ومسايرته ومجاراته ، فإن القلب ليس بيده . وهذا وذاك حذر النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - من الابتداع ليتجلى لأهل الإيمان واليقين خطورته ؛ ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يقول : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ولمسلم [باب نقض الأحكام الباطلة ومحدثات الأمور] بلفظ : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) أي هو المردود على صاحبه . قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم ^(١) : " قال أهل العربية الرد هنا بمعنى المردود فهو باطل غير معتد به ، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام ، وهو من جوامع كلمه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات " . اهـ

وعند مسلم ^(٢) عن جابر بن عبد الله - رضي الله تعالى عنهما - قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - إذا خطب أهرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم ويقول : (بعثت أنا والساعة كهاتين) ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول : (أما بعد فإن خير الهدى هدي محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) .

وعند أحمد وأبي داود والترمذي وابن ماجة وغيرهم ^(٣) بسند صحيح عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال : " وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ... إلى قوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) .

إن هؤلاء المبتدعة الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، سوف يخسرون بين يدي الله سبحانه في ذلك اليوم الذي أمره عظيم ، وهوله شديد ، لم يلاق العباد مثله . جاء في الصحيحين ^(٤) عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال : " قام فينا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بموعظة فقال : (يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً . كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدأ علينا إنا كنا فاعلين ، ألا وإن أول الخلق يكسى يوم القيامة إبراهيم - عليه السلام - ، ألا وإنه سيحيا برجال من

(١) (١٦ / ١٢) .

(٢) مسلم رقم (٨٦٧) .

(٣) أخرجه أبو داود رقم (٤٦٠٧) والترمذي رقم (٢٦٧٦) وابن ماجة رقم (٤٣) وأحمد (١٢٦ / ٤) (١٢٧) .

(٤) البخاري (٦ / ٢٧٥) ومسلم رقم (٢٨٥٩) .

أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال - أي جهة جهنم - فأقول : يا رب أصحابي ... فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ﴾ . إلى قوله تعالى : ﴿ العزيز الحكيم ﴾ [المائدة ١٧٧/١٨٨] . فيقال لي : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم . والشاهد من هذا كله أن العقابة وخيمة في حق أهل البدع والأهواء في ذلك اليوم الحق .

ولو نظرنا بمنظار صحيح إلى زماننا اليوم وما فيه هال الأمر وعظم الخطر ، من سوء احوال المسلمين وما آل إليه أمرهم من التبديل والتحريف ، وعبادة غير الله ، وعبادة الله بما لم يشرع لقلعة العلم ، وذهاب البصيرة ، وحلول الجهل والعمى إلا عند من رحم الله - وقليل ما هم - .

وما أورثهم هذا الحال إلا ابتعادهم عن المنهج السديد والصراط المستقيم ، والطريق التي كان عليها أسلافهم ، ونفورهم الدائم عن العلم النافع وهدية التابع من الكتاب والسنة على ما كان عليه النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - والأصحاب ، ففتح باب الابتداع والضلال ، فأصاب المسلمين ما أصابهم من الضعف والفساد والانحلال ، فقد رامهم الشيطان بأعظم اسهمه ، وغرر عليهم بقوله وزخرفه ، فكان الحال كما وصف .

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى : " فأول ما ابتدأ به إبليس انه أمرهم بالإعراض عن العلم فدفنوا كتبهم وغسلوها وألزمهم زاوية التعبد فيما زعم وأظهر لهم من الخزعلات ، ما أوجب إقبال العوام عليهم ، فجعل لإلهم هواهم ... إلى قوله : " وبالعلم يعلم فساد الطريقين ويهتدى إلى الأصوب " . اهـ ^(١) فنسأل الله سبحانه أن لا يحرمننا نور وهداية العلم ، فإن نوره النور في الظلم ، وأنسه الأنس في الوحدة ، وهو الوزير عند كل حادثة ، وهو صاحب سفراً وحضراً ، وسروراً وحزناً . فأنعم به يا طالب الحق من صاحب وموافق وهاد إلى طريق الجنة .

ولتعلم أن من تلبس إبليس على كثير من أبناء المسلمين ، صدهم عن العلم الشرعي ، الذي به بيان الهدى من الضلال ، والغنى من الرشد ، والطاعة من المعصية ، والسنة من البدعة ، والحق من الباطل . ومن عرف الحق عرف أهله ، ومن عرف الباطل أغتر بأهله . ولهذا لما كانت البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية ، قبل إلى الناس بخيله ورجله ، وجند ما شاء من جنده ، فأوقع الكثير في حباله وصيده .

فتأمل هذا . واعلم أن دعوة الشيطان على مراتب ومنازل كما ذكر بعض أهل العلم فأعلاها :

مرتبة الكفر والشرك ، ومعاداة الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه ، واستراح من تعبته معه ، وهذا أول ما يريده من العبد ، فإن لم يستطع انتقل إلى المرتبة التي تليها خطراً وهي :

مرتبة البدعة : وهي احب إلى الشيطان من المعصية لأن ضررها في الدين عظيم ، فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى مرتبة تليها وهي :

الكبائر ثم الصغائر ثم يشغله بالمباحات ثم بفعل المفضول دون الفاضل . هذه مراتب الشيطان ومقاصد دعوته فكن منها على حذر .

وليعلم من هذا كله أن الابتداع في الدين مسخطة للرب ، مرضاة للشيطان . ولهذا قال سفيان الثوري رحمه الله : " البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية ، المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها " (١) . وبالجمله : - ففساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به ، أو بالعمل على خلاف الحق والصواب ، فالأول البدع . والثاني اتباع الهوى . (٢)

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين (١/١٣٦) : " وهذان هما اصل كل شر وفتنة وبلاء ، وبهما كذبت الرسل ، وعصى الرب ، ودخلت النار ، وحلت العقوبات " اهـ .

فاتباع الهوى مع الابتداع هما جماع الشر كله ، ومنبت الضلال بجله ، وهما ميدان المخالفات العظيمة خصوصاً إذا اجتماعا فتلك المصيبة الكبرى ، والبلية العظمى ، قال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان ص ٥٣٤ : " والفتنة نوعان : فتنة الشبهات وهي أعظم الفتنتين ، وفتنة الشهوات . وقد يجتمعان للعبد وقد ينفرد بأحدهما ، ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقلة العلم ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى ، فهناك الفتنة العظمى ، والمصيبة الكبرى ، فقل ما شئت في ضلال سيء القصد الحاكم علي الهوى لا الهدى مع ضعف بصيرته وقلة علمه بما بعث الله به رسوله فهو من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ [النجم - ٢٣] . وقد اخبر الله سبحانه أن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله فقال تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص - ٢٦] . وهذه الفتنة مأها إلى الكفر والنفاق وهي فتنة المنافقين ، وفتنة أهل البدع على حسب بدعهم فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل ، والهدى بالضلال " اهـ .

فتعين هنا كون العلاج الوحيد لهذه الفتنة منحصراً في تجريد اتباع الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ظاهراً وباطناً ، منشطاً ومكراً ، عسراً ويسراً ، مدخلاً ومخرجاً ، والعمل بما جاء به ، وتحكيم شريعة الله تعالى في صغار الأمور وكبارها ، في القول والعمل .

(١) ذكره اللالكائي - رحمه الله تعالى - في شرح أصول أهل السنة بقرن (٢٣٨) وابن الجوزي في التلخيص ص (١٥) .

ومعنى يتاب أي : يرجع .

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص (٢٥) .

و كآني أجزم بأن هذا المسلك لن يتأت إلا بالعلم النافع ، فهو الدواء العاجل لكل عدو صائل .
 فإلى أهل الغيرة من ذوي الاتباع يرجع شأن التحذير من هؤلاء المبتدعة ، ليقف عليهم الرعاع ومن لا علم عنده موقف من كان قبله من السلف أهل الاتباع .
 أبتزك يا أهل السنة هؤلاء في شأنهم ينظرون ، وللإضلال الخلق يسعون ، وبكل واد ينطقون بكل بدعة وضلالة ؟ .

إن الواجب نحو السنة يحتم علينا بيان خطرهم والتحذير منهم ، ومن بدعهم ومخالفاتهم حتى تجتنب ، ويعرف الناس منهم كل عجب ، مما هو في الشرع غير مستطب ، وهذا من بعض حقوق الله على عباده .
 فرد الطاعنين في الكتاب والسنة ، ومجاهدتهم بالحجة والبيان ، وإقامة الدليل والبرهان عليهم حتى ينجلي الحق وينكسر الباطل .

وإن استدع الأمر جهادهم بالسيف والسنان كحال المبتدعة البغاة من الخوارج وغيرهم الذين يستحلون الدماء ، فهؤلاء يقاتلون كما وردت النصوص في هذا الشأن .

وأما من كان شأنه تلميعهم بإضفاء الألقاب البراقة عليهم ، فليثق الله ربه . إذ كيف يلمع أمثال هؤلاء الطاعنين في الدين وأهله ، الذين يضربون النصوص ببعضها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، والذين يقدمون الأهواء وزبالات العقول على كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في كل ما هو عنه العبد مسؤول .

ووصيتي لهم أن يرجعوا إلى المنقول عن السلف من الأئمة الجهابذة الفحول ، في مثل هذه المواطن الوعرة التي زلت فيها الأقدام ، وتشابكت فيها الأصابع وتحيرت الأفهام ، فهم خير القرون بعد النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - من الأنام ، فأقواهم شافية ، وبالمطلوب كافية ، وهم مفاتيح الخير ومغاليق الشر .
 فلينظر من ابتلي بما تقدم من تلميع المبتدعة والمدافعة عنهم إلى طريقة السلف في تلقي والاستدلال وفي الفهم والاستنباط ، وليعض على طريقتهم بالنواجذ ، فسيلهم هو سبيل الحق والهداية والرشاد والدراية والفلاح ، من انتهجه حاز سعادة الدارين ، وجمع كلا الخيرين ، والله المأمول أن يوفقنا إلى كل حق من المنقول والمعقول . وقد قلت في هذا ناظماً ، وبالشعر ناظقاً :

فه نجاة العبد في دنياه	وسعادة يحضها في الدارين
وبغيره يحضى الشقاوة والردى	يجني الضلال وكل شيء دان
فالزم سبيل العلم والنور الذي	رفع الإله بنيله الثقلان
فيه بدت وتكشفت كل الظلم	من بدعة وضلالة هوان
فالله يحفظ ديننا وتراثنا	من شر كل معاند وجبان
وفي الأخير صلاتنا وسلامنا	للمصطفى من خيرة الإنسان

وبالجملة :- فإن السلف قد حضوا وحشوا على الاتباع ، وحذروا من الابتداع ، وأقواهم في هذا مشهورة ، وبالأثبات العدول منقولة ، فهي أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر ، فالسعيد من وفق إلى منهجهم بل « إن من سعادة الحدث - صغير السن - والأعجمي أن يوفقهم الله لعالم من أهل السنة » ^(١)

وقد تقدم في فصل الاعتصام بالكتاب والسنة ذكر طائفة من أقواهم فأغنى عن إعادتها ، وهي دالة قاطعة على ضلال من سار على غير منهجهم ، وارتضى بفهم غيرهم من أهل البدع والأهواء .
فلتجعل يا طالب الحق الإخلاص لله عز وجل والاتباع لشرعه نصب عينيك ، وادع إلى الله عز وجل على بصيرة وعلم ودراية ، واعلم أن لك أجراً عظيماً لو وفقك الله لدعوة غيرك وإخراجه من البدعة إلى السنة ، ومن المعصية إلى الطاعة ، ومن الغي إلى الرشاد ، ومن الباطل إلى الحق .

كما أن من دعا إلى إحياء البدع والضلالات وسعى في نشرها بين الأمة وزره عظيم ، ويعظم إذا كان له أتباع . ففي الصحيحين ^(٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها - وربما قال سفيان من دمها - لأنه سن القتل أولاً) .

وقال الله تعالى : ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ [النحل - ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ وليحملن أثقاهم وأثقالا مع أثقاهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ [العنكبوت - ١٣] . وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : أن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) . وجاء أيضاً عنده من حديث جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه وفي الحديث قصة وموضع الشاهد منه أن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً) .

وليس في سياق هذا الحديث المتقدم دليل لما زعم بعضهم من أن البدعة على قسمين :

(١) حسنة . (٢) سيئة .

فهذا من الصواب ببعيد ولا يقول هذا إلا من لا باع له في العلم ولا بصيرة بكيفية الاستدلال وطرقه

(١) قاله الإمام أيوب السخيتاني - رحمه الله تعالى - كما عند اللالكائي (١/٦٠) .

(٢) البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة رقم (٧٣٢١) ، مسلم : رقم (١٦٧٧) .

وإنزال الأحكام حتى يوافق الدليل المدلول . بل هو بهذا الفهم قد حشر نفسه في زمرة الجاهلين وما أكثرهم ، وعرض نفسه لنقد العلماء الأئمة العاملين . فليعلم أنه للحق مجانب وللباطل جالب ، وإطالة الكلام على هذه المسألة ليس موضعه هاهنا . ولكن ليعلم إجمالاً : إن البدع كلها ضلالات سيئة «مردودة ليس منها شيء مقبول ، وكلها قبيحة ليس فيها حسن ، وكلها ضلال ليس فيها هدى ، وكلها أوزار ليس فيها أجر ، وكلها باطل ليس فيها حق » ^(١) . فهي بمرمتها تشريع لما لم يأذن به الله ولم ينزل به سلطاناً .

وصدق من قال :

وكل من خالف للوحين	فإنه رد بغير مين
وكل ما فيه الخلاف نصبا	فرده إليهما قد وجبا
فالدين إنما أتى بالنقل	ليس بالأوهام وحدث العقل.

(١) معارج القبول للشيخ حافظ الحكيم - رحمه الله تعالى - (٥٢٣/٢) وهناك كلام نافع لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أودعه في كتابه قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ص (٢٢-٢٣).

الفصل الثالث : في التحذير من أهل الأهواء والبدع

وتحته فروع :-

الفرع الأول : - مجامع مفسد البدعة في أمرين .

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في الاعتصام (٢/٦٩) : " وأما البدع فثبت لها امران : أحدهما : أنها مضادة للشارع ومراغمة له حيث نصب المتدع نفسه نصب المستدرك على الشريعة لا نصب المكفي بما حد له .

الثاني : أن كل بدعة - وإن قلت - تشريع زائد أو ناقص أو تغيير للأصل الصحيح ، وكل ذلك قد يكون على الانفراد وقد يكون ملحقاً بما هو مشروع فيكون قادحاً في المشروع ، ولو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامداً لكفر . إذ الزيادة والنقصان فيها أو التغيير - قل أو كثر - كفر فلا فرق بين ما قل منه أو كثر . فمن فعل مثل ذلك بتأويل فاسد أو برأي غلط رآه ، أو أحقه بالمشروع إذا لم تكفره قد يكون في حكمه فرق بين ما قل منه وما كثر لأن الجميع جناية لا تحملها الشريعة بقليل ولا بكثير . ويعضد هذا النظر عموم الأدلة في ذم البدع من غير استثناء " اهـ .

الفرع الثاني : - هجر المتدع : مشروعيته :

بناءً على ما تقدم من بيان خطورة البدع والأهواء شرع الهجر للمتدعة وأهل الأهواء ، والتحذير منهم وبيان حالهم ، إذ هجر المتدع والتكيل به من لوازم مبدأ الولاء والبراء عند أهل السنة والجماعة ، وهو مبدأ عظيم علم من الدين بالاضطرار ، ولهذا لما ضعف بين المسلمين هذا الجانب العقدي دب بسبب هذا الضعف الشر المستطير من ظهور البدع وانتشارها على مستوى كبير في القرى والأمصار والسهول والوديان . فعلت رايات أهل البدع والأهواء ، وعشعش الضلال في الأمة ، وعم الجهل في أوساط المعمورة ، وكان لأهل البدع الصولة والجولة في أوساط الأمة . فيأى الله المشتكى .

ولهذا إقامة هذا المبدأ العظيم كما دلت عليه أدلة الشرع الحكيم « تكون (به) كلمة أهل السنة ظاهرة ، ومذاهبيهم كالشمس نايرة ، ونصب الحق زاهرة ، وأعلامها بالنصر مشهورة ، وأعداؤها بالقمع مقهورة ، ينطق بمفاخرها على أعواد المنابر ، وتدون مناقبها في الكتب والدفاتر ، وتستفتح بها الخطب وتختتم ، ويفصل بها بي الحق والباطل وتحكم ، وتعقد عليها المجالس وترم ، وتظهر على الكراسي وتدرس وتعلم ، ومقالة أهل البدع لم تظهر إلا بسلطان قاهر ، أو بنشاط معاند فاجر يضل الناس خفياً ببدعته ، أو يقهر ذاك بسيفه وسوطه ، أو يستميل قلبه بماله ليضل عنه سبيل الله ، هية لبدعته ، وذبا عن ضلالتة ، ليرد المسلمين على أعقابهم ، ويفتنهم عن أديانهم بعد أن استجابوا لله وللرسول طوعاً كرهاً ، ودخلوا في دينهما رغبة أو قهراً حتى كملت الدعوة واستقرت الشريعة » .^(١)

(١) شرح اعتقاد أهل السنة اللالكاتى (١/٩٤، ٩٥) .

وما انتهى إليه حال كثير من الناس في زماننا من ضياع هذا المبدأ العظيم بسبب انفتاح العالم عليهم من كل وجه ، واختلاط العرب بالعجم والحابل بالنابل ، وظهور الملل والنحل والأهواء واستفحال داء التحزب المقيت في جسد الأمة كل هذا وذاك أدى إلى ضعف كبير عند هؤلاء في جانب عقيدة الولاء والبراء .

وضياع هذا الجانب العقدي عند أفراد الأمة وجهلهم به من جانب آخر ، وعود بعض أهل العلم أو غياب بعضهم وتبصير الأمة في أمر اعتقادها . أدى هذا كله إلى ظهور البدع وانتشارها ، وانتصار شوكة أهلها حتى فسد الصغير والكبير ، واندثرت السنن والآثار عند الجمل الغفير . فإلى الله المشتكى من هذه الغفلة ومن هذا التقصير .

وبالجملة : - فعلى المسلم أن يصلح ما فسد من جانب الولاء والبراء - دون اغترار بالكثرة المقصرة - .

ولكن يا طالب الحق على حذر تام من أولئك المتحذلقين ، الذين يريدون أن يحولوا بين المسلمين وبين هذا الأمر العظيم والأصل الأصيل ، الذي خرجت نصوصه مخرج التواتر ، وقطع به أهل العلم في الكتب والدفاتر .

كن حذراً غاية الحذر من شعاراتهم المضلة ، وأقوالهم المزلة .

إنك تجد من هؤلاء من يسع إلى هدم هذا الجانب العقدي العظيم بمعول الإنسانية والناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، فلا فرق عنده بين سني ومبتدع ، وحق ومبطل . ومنهم من يهدمه بمعول التسامح والعاطفة الجياشة ، وآخر يهدمه بمبدأ تأليف القلوب وجمع الصفوف كما زعم . وآخر أيضاً يسعى لهدمه بمبدأ نبذ الشذوذ والتطرف . وكل هذه مؤامرات تحريية تجتمع لغاية القضاء على المسلم المتميز بل على الإسلام .

اعلم علمي الله وإياك أن من لوازم هذا المبدأ العقدي ، اتخاذ الصّوارم المنكية على أهل البدع والأهواء المخزية ، ومن هذه الصّوارم هجر المبتدعة وإذلالهم وقهرهم والناس في هذا الباب على أقسام كثيرة بسبب مخالفتهم لأمر الله فمنها :

« أن يكون كافراً فإن كان حربياً فهو مستحق للقتل والإرقاق وليس بعد هذين إهانة ، وإن كان ذمياً فلا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه ، والتحقير له بالاضطرار له إلى أضيق الطريق ، وترك البداءة في السلام . فإن سلم قيل له : وعليك . والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومؤاكلته ، ومن المكروه الاسترسال إليه والانسياط كما يفعل بالأصدقاء .

والقسم الثاني : - المبتدع فإن كان ممن يدعو إلى بدعة وكانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذمي ، لأنه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة ، وإن كان ممن لا يكفر بها فأمره بينه وبين الله تعالى أخف من أمر الكافر لا محالة ، ولكن الأمر في الإنكار عليه أشد منه على الكافر ، لأن شر الكافر غير متعد ، لأنه لا يلتفت إلى قوله بخلاف المبتدع الذي يدعو إلى بدعته لأنه يزعم أن ما يدعو إليه حق فيكون سبباً لغواية الخلق ، فشده متعد . فإظهار بغضه والانقطاع عنه ومعاداته وتحقيره والتشيع عليه ببدعته وتفسير

الناس عنه اشد . فأما المبتدع العامي الذي لا يقدر أن يدعو ، ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون ، والأولى أن يتلطف به في النصح ، فإن قلوب العوام سريعة القلب ، فإن لم ينفع النصح و كان في الإعراض عنه تقييح لبدعته في عينه تأكد استحباب الإعراض عنه ، وإن علم أن ذلك لا يؤثر لجمود طبعه ورسوخ اعتقاده في قلبه فالإعراض عنه أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقييحها شاعت بين الخلق وعم فسادها^(١)

وهذه العقيدة قد دلت عليها نصوص الكتاب والسنة قال الله تعالى : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ [الأنعام - ٦٨] . وفي هذه الآية دلالة واضحة على حرمة مجالسة أهل الأهواء والبدع وأصحاب الكبائر والمعاصي . وقال تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴾ [النساء - ١٤٠] . وقد نص العلماء على شمولها لأهل البدع والأهواء كما في تفسير القرطبي رحمه الله (٤١٨/٥) .

وقال تعالى : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴾ [هود - ١١٣] قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره (١٠٨ / ٩) : " الصحيح في معنى هذه الآية أنها دالت على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم ... " .

وأدلة الكتاب في هذا المقام كثيرة وفيما سبق كفاية وأما أدلة السنة فاذا ذكر طائفة منها :

جاء في البخاري (١٥٧/٨) ومسلم رقم (٢٦٦٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - هذه الآية : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراستخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يتذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [آل عمران - ٧] . قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه أولئك الذين سمي الله فاحذرهم) .

وفي حديث الصحيفة المشهور عن علي رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وفيه : (المدينة حرم ما بين غير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) . متفق عليه . وفي مقدمة مسلم (٦/١) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : (سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم فيأكم ويأهم) .

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي - رحمه الله تعالى - ص (٩٨) .

وفي مسلم أيضاً رقم (١٩٥٤) عن سعيد بن جبير أن قريياً لعبد الله بن مغفل خذف قال : فنهاه ، وقال : " إن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - نهى عن الخذف . وقال : (إنها لا تصيب صيداً ولا تنكأ عدواً ولكنها تكسر السن وتفقأ العين) . قال : أحدثك أن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - نهى عنه ثم تخذف لا أكلمك أبداً " .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه على مسلم (٩٢/١٣) : " قوله : أحدثك أن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - نهى عن الخذف ثم تخذف لا أكلمك أبداً " فيه هجران أهل البدع والنسوق وهنا يذو السنة مع العلم ، وأنه يجوز هجرانه دائماً . والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام إنما هو فيمن هجر لحظ نفسه ومعاش الدنيا ، وأما أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائم . وهذا الحديث مما يؤيده نظائر له كحديث كعب بن مالك وغيره . اهـ

قلت : والصحابة قد هجر بعضهم بعضاً في أمر دينهم . قال السيوطي رحمه الله في رسالته - الزجر بالهجر - (ص ٣٩) : " وقد جمع بعضهم أسماء من كان يزجر بالهجر من الصحابة والتابعين فمن بعدهم فذكر منهم : عائشة وحفصة وسعد ابن أبي وقاص وعمار بن ياسر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن المسيب وطاووساً ووهب ابن منبه والحسن البصري وابن سيرين وسفيان الثوري - هجر ابن أبي ليلى - وخلفاء إلى أن ختم بالنووي فإنه كان يزجر بالهجر ، ويراه وقرره في شرح مسلم وغيره أوضح تقرير ، واحتج له بعده من الأدلة ... " اهـ

قال الإمام الخطابي أبو سليمان رحمه الله تعالى في معالم السنن (٥/٧) - المطبوع بحاشية مختصر سنن أبي داود للمنذري - في صدد الكلام على حديث كعب ابن مالك : " من العلم : أن تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث إنما هو فيما يكون بينهم من قبل عتب وموجدة أو التقصير يقع في حقوق العشرة ونحوها ، دون ما كان من ذلك في حق الدين فإن هجرة أهل الأهواء والبدعة دائمة على مر الأوقات والأزمان ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق " .

وقال الإمام ابن عبد البر النمري القرطبي حافظ المغرب في كتاب التمهيد له (١١٦/٦-١١٨) : " وهذا الحديث ^(١) وإن كان ظاهره العموم فهو عندي مخصوص بحديث كعب بن مالك حيث أمر رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أصحابه أن يهجروه ولا يكلموه هو وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع لتخلفهم عن غزوة تبوك حتى أنزل الله توبتهم وعذرهم ، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أصحابه أن يراجعوه الكلام ، وفي حديث كعب هذا دليل على أنه جائز أن يهجر المرء أخاه إذا بدت (له) منه بدعة أو فاحشة يرجو أن يكون هجرانه تأديباً له وزجراً عنها . والله أعلم " .

(١) أي حديث انس (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ...) .

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني - رحمه الله تعالى - في عقيدة أصحاب الحديث (ص ١١٢) : " ... واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم ، وإخراجهم وإبعادهم ، وإقصائهم والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ... " .

وقال الإمام البغوي رحمه الله في شرح السنة (١/٢٢٦-٢٢٧) بعد أن ذكر حديث كعب بن مالك رضي الله عنه وصاحبه : " وفيه دليل على أن هجران أهل البدع على التأييد ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه ، فأمر بهجرانهم إلى أن أنزل الله توبتهم ، وعرف رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - براءتهم ، وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم ، وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ، ومهاجرتهم " .

وقال أبو يعلى الموصلي رحمه الله تعالى : " أجمع الصحابة والتابعون على مقاطعة المبتدعة " . ونقل الحافظ في الفتح (١٠/٤٩٦) عن ابن عبد البر قوله : " أجمعوا على أنه لا يجوز الهجران فوق ثلاث إلا لمن خاف من مكالمته ما يفسد عليه دينه ، أو يدخل منه على نفسه أو دنياه مضرة ، فإن كان كذلك جاز ، ورب هجر جميل خير من مخالطة مؤذية " .

وقال ابن الأثير رحمه الله تعالى في النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٢٤٥) : " وفيه لا هجرة بعد ثلاث يريد به الهجر ضد الوصل يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة أو تقصير في حقوق العشرة والصحة ، ما كان من ذلك في جانب الدين فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مر الأوقات ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق فإنه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لما خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك أمر بهجرانهم خمسين يوماً ، وقد هجر نساء شهرأ ، وهجرت عائشة ابن الزبير مدة ، وهجر جماعة من الصحابة جماعة منهم وما توا متهاجرين ، ولعل أحد الأمرين منسوخ بالآخر " . اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في مجموع الفتاوى (٢/١٣٢) : " ويجب عقوبة كل من انتسب إلى أهل البدع أو ذب عنهم أو أثنى عليهم أو عظم كتبهم أو عرف بمساعدتهم ومعاونتهم أو كره الكلام فيهم أو أخذ يعتذر لهم . بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم ، ولم يعاون على القيام عليهم ، فإن القيام عليهم من أوجب الواجبات " .

وقال أيضاً كما في (٢٨/١٣١) : " ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حالهم ، والتحذير منهم واجب باتفاق المسلمين " .

وقال السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه الزجر بالهجر (ص ٥٤) : " وقال الرافعي في شرح المسند : حق المبتدع أن يهجر وأن يحترز عن مكاتبته ومجالسته " .

وقال العلامة محمد ابن إبراهيم الوزير رحمه الله تعالى في العواصم والقواصم (١/٢٢٠) : " أما بيان بدعهم ، وكف شرهم على الوجه المشروع فواجب أو مستحب ... وأجمعت الأمة على ذلك مع ظهور التأويل منهم والإجماع عليه " .

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله تعالى شارحاً لكلام ابن قدامة رحمه الله تعالى : " ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدل والخصومات في الدين وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم ... " : قال حفظه الله : وهجران أهل البدع واجب لقوله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ... ﴾ [المجادلة ٢٢] . ولأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن غزوة تبوك ... " (١)

الفرع الثالث : - مراعاة المصلحة في الهجر :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " وهذا الهجر يختلف باختلاف المهاجرين في قوتهم وضعفهم ، وقلتهم وكثرتهم ، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله ، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفته كان مشروعاً ، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر ، والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر ، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر ، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف ، ولهذا كان النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يتألف قوماً ويهجر آخرين ... " (٢) .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى : " فإذا لم يكن في هجرانه انزجار ولا انتهاء أحد بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم تكن هجره مأموراً بها كما ذكر أحمد عن أهل خراسان إذ ذاك أنه لم يكونوا يقوون بالجهمية ، فإذا عجزوا عن إظهار العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة ، وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف ، ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوي ، كذلك لما كثر القدر في أهل البصرة فلو ترك رواية الحديث عنهم لا ندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم " (٣) .

قال الشيخ ابن عثيمين حفظه الله تعالى : " أما هجرهم فهذا يترتب على البدعة فإذا كانت البدعة مكفرة وجب هجره ، وإذا كانت دون ذلك فإننا نتوقف في هجره ، إن كان في هجره مصلحة فعلناه وإن لم تكن

(١) لمعة الاعتقاد ص (١٥٩) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٦) .

(٣) راجع مجموع الفتاوى (٢٨/٢١٢) .

فيه مصلحة اجتنابه . وذلك أن الأصل في المؤمن تحريم هجره لقوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (لا يحل لرجل مؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث) فكل مؤمن وإن كان فاسقاً فإنه يحرم هجره ما لم يكن في الهجر مصلحة ، أو كان فيه زيادة في المعصية والعنوة فإن ما لا مصلحة فيه تركه هو المصلحة ^(١) . قلت : ومراعاة المصلحة والمفسدة قاعدة جلية من قواعد الشرع الحكيم ، وفق الله لفهمها أهل العلم الراسخين الذين لهم قدم صدق في الآخرين ، فينبغي التعويل عليهم في فهم المصالح والمفاسد . أما أن ينتصب لفهم المفسدة من المصلحة الرعاع وأحداث الأسنان من طلبة العلم فهذه طامة عظيمة ، وفتنة مريبة ، فإنك تجد من آثارها جعل مقادير المفسد والمصالح هو العقل والهوى تارة أو قلة العلم والبصيرة تارة أخرى .

وبالجملة : - فجماع هذا الفرع داخل في القاعدة العامة « فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد ، والحسنات والسيئات ، أو تراحت فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدهت المصالح والمفاسد ، وتعارضت المصالح والمفاسد ، فإن (القطيعة والهجر مثلاً) وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة ، فينظر في المعارض له ، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفسد أكثر لم يكن مأموراً به بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته ، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها ، وإلا اجتهد رايه لمعرفة الأشباه والنظائر وقل أن تعوز النصوص من كان خيراً بها وبدلائلها على الأحكام » ^(٢) .

ومن لوازم مراعاة المصلحة والمفسدة في هذا المقام النظر في البدعة من حيث :

- ١) كونها مكفورة أو مفسقة .
 - ٢) كونها حقيقية أو إضافية .
 - ٣) كونها مشتبهة أو بينة واضحة .
 - ٤) كونها منتشرة ظاهرة أو خفية مستترة .
- وهكذا ينظر في كل من الهاجرين والمهجورين من بحيث :

- ١) القوة والضعف .
- ٢) كون الهاجرين أصحاب علم وبصيرة وسنة .
- ٣) كون المهجور داعية أو غير داعية .

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين رقم (٣٤٧) وانظر المجموع الثمين ص (٣٠ و٣١) .

(٢) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص (٤٦ و٤٧) . عدا ما بين المعكوفين . زدناه توضيحاً .

- (٤) كون المهجور قامت عليه الحجة ، واستبان له المحجة من عدم ذلك .
 (٥) كون المهجور ذا شهرة وأتباع دون من لم يكن كذلك .
 وينظر أيضاً في الهجر من حيث :

(١) حصول المنفعة وقيام المصلحة .

(٢) حصول المضرة وقيام الفسدة .

الفرع الرابع :-

في بيان تحذير السلف من أرباب الأهواء والبدع . وتحت ثلاثة مقاصد :-

المقصد الأول : - الكلام في أهل البدع من النصيحة لا الغيبة :

إن كثيراً من أرباب الجهل ومن يدعي العلم والزهد يعيب على أهل السنة والحق كلامهم في أهل البدع والأهواء ، ويعتبرون ذلك منهم غيبة ، وما دخل عليهم الدخيل إلا من جهلهم بمقاصد الشرع الحكيم ، وأحوال وأقوال السلف الصالحين . فليعلم هؤلاء جميعاً أن الكلام في أهل البدع والأهواء ، والتحذير منهم يعتبر من النصيحة لله ولرسوله ولكتابه وللائمة المسلمين وعامتهم ، ومن عرف اعتقاد أهل السنة والجماعة تكشف له الحجاب ، عن كثير مما يوردونه في هذا الباب من شبه واهية ، ومن لم يعرف اعتقاد السلف حق المعرفة وقع في حبال هؤلاء واغتر بحالهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " ويأزاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب ، أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه ، وما عرفوه منه قد لا يبينونه للناس بل يكتمونه ، ولا ينهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة ، ولا يذمون أهل البدع ويعاقبونهم ، بل لعلمهم يذمون الكلام في السنة وأصول الدين ذماً مطلقاً " .

أقول : قد دلت النصوص الشرعية على جرح المبتدعة وأهل الأهواء . ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فقال : " انذنوا له . بئس أخو العشيرة " . وفي البخاري أيضاً عنها رضي الله عنها قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (ما أظن فلاناً وفلاناً يعرفان من ديننا شيئاً) . وثبت عند أحمد عن أبي قلابة رضي الله عنه قال : " رأيت رجلاً بالمدينة ، وقد طاف الناس به وهو يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - . فإذا الرجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : فسمعتة يقول : " إن من بعدكم الكذاب المضل ، وإن رأسه من بعدك حبك حبك " . ثلاث مرات . وإنه سيقول : أنا ربكم . فمن قال : لست ربنا لكن ربنا الله عليه توكلنا وإليه أنبأ نعوذ بالله من شرك . لم يكن له عليه سلطان " .^(١)

وفي سنن الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : " كان على رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ثوبين قطريين غليظين ، فكان إذا قعد ففرق ثقلًا عليه . فقدم بز من الشام لفلان اليهودي . فقلت : لو بعثت إليه فاشتريت منه ثوبين إلى ميسرة ؟ فأرسل إليه فقال : قد علمت ما يريد أن يذهب بجالي أو بدراهمي . فقال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (كذب قد علمني أني من أتقاهم لله وأداهم للأمانة) ^(١) .

والشاهد منه قوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (كذب ...) . فهو جرح وقذح .
وفي مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : " كنا جلوساً عند النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - . وقد ذهب عمرو بن العاص يلبس ثيابه ليحلقني فقال ونحن عنده : (ليدخلن عليكم رجل لعين) . فوالله ما زلت وجلاً ، أشوف داخلاً وخارجاً حتى دخل فلان يعني الحكم " ^(٢) . فقوله : (رجل لعين) . جرح وقذح .

وثبت في مستدرك الحاكم عن جندب قال : (" جاء إعرابي فأناخ راحلته ثم عقلها ، فصلى خلف رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فلما سلم رسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أتى راحلته ، فأطلق عقاقها ، ثم ركبها ثم نادى : " اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا تشرك في رحمتنا أحداً . " فقال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (ما تقولون أهو أضل أم بعيره ؟ ألم تسمعوها ما قال ؟) . قالوا : " بلى . فقال : (لقد حظر رحمة واسعة . إن الله خلق مائة رحمة ، فأنزل رحمة تعاطف بها الخلائق جنها وانسها ، وبهائمها ، وعنده تسعة وتسعون ، تقولون : أهو أضل أم بعيره ؟) " ^(٣) .

والشاهد فيه قوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (أهو أضل أم بعيره ؟) فهذا جرح وقذح .
هذا وقد استوعب أدلة هذا المقام من الكتاب والسنة شيخنا المحدث العلامة / مقبل بن هادي الوادعي حفظه الله تعالى في كتابه النفيس الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (١٨٩/١ - ٢٠٩) . وفي مقدمة الطبعة الثالثة من كتابه المخرج من الفتنة ، وكتاب نشر الصحيفة .

فمن أراد أن يقف عليها فليراجعها إن شاء ، ولولا خشية الإطالة والإطناب لنقلناه . والله المستعان .
ثم إن كلام الأئمة في هذا الباب مجلي الحق ويكشف الحجاب عن شبههم . فعليك يا طالب الحق به ودع عنك أقوال الجهال والرعاع ممن لا علم عنده . وسأورد بعض النقول عنهم فدونك هي :
جاء عند اللالكائي رحمه الله تعالى في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة عن إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى أنه قال : " ليس لصاحب البدعة غيبة " . وعن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال : " ثلاثة ليست لهم

(١) الجامع الصحيح (١٩٩/١) .

(٢) المصدر السابق (١٩٥/١) .

(٣) المصدر السابق (١٩٠/١) .

حرمة في الغيبة : أحدهم صاحب بدعة الغالي ببدعته . " وقال أيضاً : " ليس لأهل البدع غيبة . " (١)
وقال أيضاً : " ليس بينك وبين الفاسق حرمة . " (٢)
وقال إبراهيم النخعي أيضاً : " ثلاثة كانوا لا يعدونهن من الغيبة : الإمام الجائر ، والمبتدع ، والفاسق
المجاهر بفسقه . " (٣)

وجاء عن الإمام شعبة بن الحجاج رحمه الله تعالى قوله : " تعالوا حتى نغتاب في الله تعالى ساعة . " (٤)
وفي شرح علل الترمذي (٣٤٩/١) أن أبا زرعة قال : " سمعت أبا مسهر يسأل عن الرجل يغلط ويهم
ويصحف ، فقال بين أمره . فقلت لأبي زرعة : أترى ذلك غيبة ؟ قال : لا .
فانظر يا رعاك الله وقعن في كلامه رحمه الله فإذا « كان من الواجب كشف الوهم والغلط والخطأ
والسقط والسهو وعبور النظر ونحوها من الأسباب الصارفة عن وجه الصواب - مع أنه لا غول فيها ولا
تأثيم - لكن في ترك الوهم ، وما جرى مجراه من علمه إبقاء لشرع مبدل ، وهذا غش .. فواجب على
من علمه النصح للأمة ببيان الغلط والوهم حتى يعاد الحق إلى نصابه . فإذا كان هذا فيما لا إثم فيه فكيف
بكشف المخالفة والنقض على المخالف لإنقاذ الناس من ضلالة أو هوى ؟ هذا واجب وألزم . والله أعلم
وأحكم . » (٥)

وذكر برهان الدين بن مفلح رحمه الله تعالى عن عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه قال : " جاء
أبو تراب النخشي إلى أبي فجعل أبي يقول : فلان ضعيف ، وفلان ثقة . فقال أبو تراب : لا تغتب
العلماء . فالتفت إليه أبي فقال : ويحك هذه نصيحة وليست بغيبة . " (٦)
وقال المروذي رحمه الله تعالى : « قلت لأبي عبد الله - يعني إمامنا - ترى للرجل أن يشتغل بالصوم
والصلاة ويسكت عن الكلام في أهل البدع ؟ فكلح في وجهه وقال : إذا هو صام وصلى واعتزل الناس
أليس إنما هو لنفسه ؟ قلت : بلى . قال : فإذا تكلم كان له ولغيره . يتكلم أفضل » (٧)
وقال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى : " صاحب الهوى في الدنيا ليس هو غيبة . " (٨)

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٥٨/١) رقم (٢٧٦-٢٧٨-٢٨٠٩) ط دار طيبة .

(٢) انظر كتاب الصمت لابن أبي الدنيا ص (١٤٢) رقم (٢٢٣) ورجاله ثقات .

(٣) انظر كتاب الصمت ص (١٤٢) .

(٤) الكفاية للخطيب (٩١) . وشرح علل الترمذي (٣٤٩/١) .

(٥) الرد على المخالف من أصول الإسلام ص (٤٣-٤٤) لبكر بن عبد الله أبو زيد - حفظه الله تعالى - .

(٦) المقصد الأرشد لابن مفلح (٢٨٤/٢) . وانظر شرح علل الترمذي (٣٤٩/١-٣٥٠) .

(٧) طبقات الحنابلة (٢١٦/٢) .

(٨) مختصر الحجة على تارك الحجة . لنصر المقدسي - رحمه الله تعالى - ص (٥٣٨) .

وقال الإمام الترمذي رحمه الله تعالى في كتابه العلل الجامع (٧٣٨/٥-٧٣٩) : " وقد عاب من لا يفهم على أهل الحديث الكلام في الرجال ، وقد وجدنا غير واحد من الأئمة من التابعين قد تكلموا في الرجال ، منهم : الحسن البصري وطاووس تكلموا في معبد الجهني ، وتكلم سعيد بن جبير في طلق بن حبيب ، وتكلم إبراهيم النخعي وعامر الشعبي في الحارث الأعور ، وهكذا روي عن أيوب السختياني وعبد الله بن عون وسليمان التيمي وشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وعبد الله بن المبارك ويحيى بن سعيد القطان ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم من أهل العلم أنهم تكلموا في الرجال ، وضعفوا ، وإنما حملهم على ذلك عندنا والله أعلم . النصيحة . لا يظن بهؤلاء أنهم أرادوا الطعن على الناس أو الغيبة إنما أرادوا عندنا أن يبينوا ضعف هؤلاء لكي يعرفوا ، لأن بعضهم من الذين ضعفوا كان صاحب بدعة ، وبعضهم كان متهماً في الحديث ، وبعضهم كانوا أصحاب غفلة وكثرة خطأ ، فإراد هؤلاء الأئمة أن يبينوا أحوالهم شفقة على الدين وتثبيتاً ، لأن الشهادة في الدين أحق أن يتثبت فيها من الشهادة في الحقوق والأموال . قال : وأخبرني محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثني أبي « قال : سألت سفيان الثوري وشعبة ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة عن الرجل تكون فيه تهمة أو ضعف أسكت أو أين ؟ قالوا بين . » ^(١)

وقال أبو الوليد محمد بن رشد القرطبي رحمه الله تعالى : " وصاحب البدعة يؤمن ببدعته ، ويعتقد أنه على الحق فيها وأن غيره على الخلاف في مخالفته ببدعته فلا غيبة فيه في ذكره بها ، لأنه إن كان معلناً بها يجب أن يذكر بها . وإن كان مستتراً بها فواجب أن يذكر بها ويحفظ الناس من اتباعه عليها ... " ^(٢)

وقال الحافظ ابن الصلاح رحمه الله تعالى : " تجوز غيبة المبتدع بل ذكره بما عليه مطلقاً غائباً وحاضراً إذا كان المقصود التنبيه على حاله ليحذر ، على هذا مضى السلف الصالحون أو من فعل ذلك منهم .

ثم يجوز ذلك ابتداءً بيتاً به وإن لم يسأل ، ويجوز عند جريان مسبب من سؤال وغيره . " ^(٣)

وقال العلامة القرافي رحمه الله تعالى كما في الفروق (٢٠٥/٤-٢٠٨) : " الفرق الثالث والخمسون والمائتان بين قاعدة الغيبة المحرمة ، وقاعدة الغيبة التي لا تحرم : -

قال تعالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ [الحجرات ١٢] ... إلى أن قال رحمه الله : " فدل هذا النص على أن الغيبة ما يكرهه الإنسان إذا سمعه ، وأنه لا يسمى غيبة إلا إذا كان غائباً . لقوله : (إن سمع) . فدل ذلك على أنه ليس بحاضر ، وهو تناول جميع ما يكره لأن (ما) من صيغ العموم .

(١) انظر أحوال الرجال للجوزجاني - رحمه الله تعالى - ص (٣٦ و ٣٧) .

(٢) الجامع من المقدمات له - رحمه الله تعالى - ص (٢٩٢) .

(٣) فتاوى ابن الصلاح (٤٩٧/٢) .

ثم قال رحمه الله : تنبيه : -

قال بعض العلماء استثنى من الغيبة ست صور :-

الأول : - النصيحة . لقوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لفاطمة بنت قيس حين شاورته عليه السلام لما خطبها معاوية بن أبي سفيان وأبو جهم : (أما معاوية فرجل صعلوك لا مال له ، وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه) . فذكر عيين فيهما مما يكرهانه لو سمعاه ، وأبيح ذلك لمصلحة النصيحة . ويشترط في هذا القسم أن تكون حاجة ماسة لذلك ، وأن يقتصر الناصح من العيوب على ما يخل بتلك المصلحة خاصة التي حصلت المشاورة فيها أو التي يعتقد الناصح أن المنصوح شرع فيها ، أو هو على عزم ذلك فينصحه وإن لم يستشره ، فإن حفظ مال الإنسان وعرضه ودمه عليك واجب ، وعن لم يعرض لك ذلك . فالشرط الأول : احتراز من ذكر عيوب الناس مطلقاً لجواز أن يقع بينهما من المخالطة ما يقتضي ذلك فهذا حرام . بل لا يجوز إلا عند ميسر الحاجة ، ولولا ذلك لأبيحت الغيبة مطلقاً ، لأن الجواز قائم في الكل . والشرط الثاني احتراز من أن يستشار في أمر الزواج فيذكر العيوب المخلة بمصلحة السفر ، والعيوب المخلة بالزواج ، فالزيادة على العيوب المخلة بما استشرت فيه حرام . بل تقتصر على عين ، أو تعين الإقدام عليه ... إلى أن قال رحمه الله :

الرابع : - أرباب البدع والتصانيف المضلة ينبغي أن يشهر الناس فسادها وعيها ، وأنهم على غير الصواب ليحذرها الناس الضعفاء ، فلا يقع فيها ، وينفر عن تلك المفاصد ما أمكن بشرط أن لا يتعدى فيها الصدق ، ولا يفترى على أهلها من الفسوق والفواحش ما لم يفعلوه بل يقتصر على ما فيهم من المنفرات خاصة ، فلا يقال على المبتدع أنه يشرب الخمر ، ولا أنه يزني ، ولا غير ذلك مما ليس فيه . وهذا القسم داخل في النصيحة . غير أنه لا يتوقف على المشاورة ، ولا مقارنة الوقوع في المفسدة ومن مات من أهل الضلال ولم يترك شيعة تعظمه ، ولا كتباً تقرأ ، ولا سبباً يخشى منه إفساداً لغيره فينبغي أن يستر بستر الله تعالى ، ولا يذكر له عيب البتة وحسابه على الله تعالى " اهـ

وقد فصل الإمام النووي رحمه الله تعالى في بعض مصنفاته ما يجوز وما لا يجوز من الغيبة . فانظر رياض الصالحين (ص ٤٨٩) . وروضة الطالين (٣٣/٧-٣٤) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة فإن بيان حاهم ، والتحذير منهم واجب باتفاق المسلمين . حتى قيل لأحمد ابن حنبل الرجل يصوم ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع ؟ فقال : إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإن تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين . هذا أفضل " .^(١)

وقال رحمه الله أيضاً^(١) : " وأما إذا أظهر الرجل المنكرات وجب الإنكار عليه علانية ولم يبق له غيبة ووجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك من هجر وغيره ، فلا يسلم عليه ولا يرد عليه السلام إذا كان الفاعل لذلك متمكناً من ذلك من غير مفسدة راجحة " .

قلت : ومن جملة المنكرات البدع في العبادات والاعتقادات ، ولهذا قال رحمه الله تعالى كما في رسالة [الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] ص ٤٢ : " ومن المنكرات كل ما حرمه الله ... وكذلك العبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - " وقال رحمه الله كما في مجموعة الرسائل (١٠٩/٥ - ١١١) : " ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساد أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً ... فإذا كان أقوامٌ منافقون يتدعون بدعاً تخالف الكتاب ويلبسونها على الناس ولم يبين للناس فساد أمر الكتاب وبدل الدين كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم ينكر على أهله " . اهـ

وقال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى : " فأما أهل البدع والضلالة ومن تشبه بالعلماء وليس منهم فيجوز بيان جهلهم وغيوبهم تحذيراً من الاقتداء بهم ، ليس كلامنا الآن من هذا القبيل والله أعلم ، ومن عرف أنه أراد برده على العلماء النصيحة لله ولرسوله فإنه يجب أن يعامل بالإكرام والاحترام والتعظيم كسائر علماء المسلمين الذين سبق ذكرهم وأمثامهم ومن تبعهم بإحسان .

ومن عرف أنه أراد برده عليهم التنقيص والذم وإظهار العيب فإنه يستحق أن يقابل بالعقوبة ليرتدع هو ونظرائه من هذه الرذائل الخرفة " . اهـ^(٢)

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : " ومنها جواز الطعن في الرجل بما يغلب على اجتهاد الطاعن حية أو ذباً عن الله ورسوله ومن هذا طعن أهل الحديث في من طعنوا فيه من الرواة ، ومن هذا طعن ورثة الأنبياء وأهل السنة في أهل الأهواء والبدع لله لا لحضوضهم وأغراضهم " . اهـ^(٣)

قلت : فهذه جملة من اقوال الأئمة رحمهم الله تعالى في هذا الباب وتتبع كلامهم مما يطول - والحليم تكفيه الإشارة - وينبغي هنا بيان ضوابط وشروط في غيبة وجرح المبتدع فدونك هي :-

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : " أما الحديث فليس هو من كلام النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ولكنه مأثور عن الحسن البصري أنه قال : أترغبون عن ذكر الفاجر ؟ اذكروه بما فيه يحذره الناس وفي حديث آخر - من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له - وهذان النوعان يجوز فيهما الغيبة بلا نزاع

(١) المصدر السابق (٢٨/٢١٧ - ٢١٨) .

(٢) انظر الفرق بين النصيحة والتعير ص (٣٢ - ٣٣) .

(٣) زاد المعاد (١٨/٣) .

بين العلماء أحدهما :- أن يكون الرجل مظهرًا للفجور مثل الظلم والفواحش والبدع المخالفة للسنة ، فإذا أظهر المنكر وجب الإنكار عليه بحسب القدرة كما قال النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان) رواه مسلم . وفي المسند والسنن عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال : " أيها الناس إنكم تقرؤون القرآن وتقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير مواضعها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ [المائدة - ١٠٥] وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول : (إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) فمن أظهر المنكر وجب عليه الإنكار وأن يهجر ويذم على ذلك فهذا معنى قوله : " من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له " بخلاف من كان مستتراً بذنبه مستخفياً ، فإن هذا يستر عليه لكن ينصح سراً . ويهجره من عرف حاله حتى يتوب ، ويذكر أمره على وجه النصيحة " اهـ ^(١) و ضوابط هذا الأمر يمكن إجمالها بما يلي :-

- ١- الإخلاص فيها وأن يقصد بالظن على أهل البدع النصح للمسلمين ، وتحذيرهم من ذلك المبتدع . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في مجموع الفتاوى (٢٣٥/٢٨) : " ثم القائل في ذلك بعلم لا بد له من حسن النية ، فلو تكلم بحق لقصد العلو في الأرض ، أو الفساد ، كان بمنزلة السدي يقاتل حية ورياء ، وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصاً له الدين كان من المجاهدين في سبيل الله من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل ، وليس هذا مخالفاً لقوله : (الغيبة ذكرك أخاك بما يكره) . "
 - ٢- أن يلتزم عند غيبة المبتدع وبيان حاله للناس ، العدل ^(٢) في ذلك فلا يذكره إلا بما فيه على الحقيقة ، ولا يظن عليه إلا بما فيه من خصال الشر المنفرة للناس منه لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهادة بالقسط ولا تجرمكم شئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ [المائدة - ٨] .
 - ٣- أن يكون المبتدع مجاهرًا بالبدعة معلناً لها ، فأما من كان مستتراً ببدعته فهذا يستر عليه لكن ينصح سراً ، ويهجره من عرف حاله حتى يتوب ، ويذكر أمره على وجه النصيحة . كما تقدم في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .
- أن يكون المبتدع المتكلم فيه غير ميت فإن كان ميتاً فإنه لا تجوز غيبته ، ولا ذكر ما فيه من البدع ولا ذمه

(١) مجموع الفتاوى ٢١٩/١٨ - ٢٢٢ .

(٢) ولا يقصد بالعدل هنا استعمال ذاك المنهج المبتدع . اعني منهج الموازنة بين الحسنات والسيئات . فتنبيه .

بها بعد موته لعموم قوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كما في البخاري (٢٥٨/٣) رقم (١٣٩٣) : (لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا) . إلا أن يكون للميت كتب تقرر البدع أو اتباع ينشرون البدع بعده ، فإنه يحذر من ذلك الشخص فيذكر بما فيه ، لأن السبب المبيح لغيبته لا يزال قائماً وهو التأثير بكتبه وأتباعه ، وقد تقدم مثل هذا الكلام في كلام القرأى رحمه الله تعالى .

وينظر للمزيد في هذه الصواب ما كتبه الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي في كتابه : (موقف أهل السنة والجماعة من أهل البدع والأهواء) (٥٠٦/٢ - ٥٠٩) .

المقصد الثاني : في بيان أن الكلام في أهل البدع والأهواء ليس سبباً لتفرقة الأمة :

زعم بعض من لا علم عنده بجمع الصفوف ، ووحدة الكلمة أن الكلام في أهل البدع والأهواء ، وتحذير الأمة منهم ، سبب لتفرقة الصفوف ، فكبرت كلمة تخرج من أفواه هؤلاء إن يقولون إلا كذباً .

ويا سبحان الله كيف لا يفهم هذا الفهم ويهتدي إليه أولئك الأئمة الفحول الراسخون في العلم ؟ هل يقال إنهم ممن يدعون إلى تفرق الأمة ، وتزريق الصفوف ؟ فإن كان الجواب من أمثال هؤلاء الشائنين هو الإثبات .

فيا لله ، ويا للإسلام ، ويا للأئمة الدين ، وفقهاء الأمة من هذه ألفوا قر العظام ، والشتائم من هؤلاء اللئام الذين ما عرفوا قدر أنفسهم ! فنسأل الله السلامة والعافية .

وقد أورد هذه الشبهة العليلة العلامة المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله تعالى في كتابه (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) (٢٢٠ / ١) " فإن قيل : هل السكوت عن المبتدعة لازمٌ خوفاً من التفرق والزيادة في أسبابه لحديث جندب المتقدم (حديث اقرؤوا القرآن ما أتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه) خروجه كما مضى ؟ قلنا: أما بيان بدعهم ، وكف شرهم على الوجه المشروع فواجب أو مستحب كما ثبت من النصوص الصحيحة في تصويب علي عليه السلام في حرب الخوارج ، وأجمعت الأمة على ذلك مع ظهور التأويل منهم ، والإجماع عليه . "

فينبغي أن يعلم أن خطر هؤلاء المبتدعة وأهل الهوى على الأمة عظيم فهم ينخرون جسد هذه الأمة نخرأ ، ووجودهم هو بعينه سبب التفرق والاختلاف فهم داء عضال . وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى في الموضوعات (٥١ / ١) " قال ابو الوفاء علي بن عقيل الفقيه : قال شيخنا أبو الفضل الهمداني : مبتدعة الإسلام ، والوضاعون للأحاديث اشد من الملحدين ، لأن الملحدين قصدوا إفساد الدين من الخارج وهؤلاء قصدوا إفساده من الداخل فهم كأهل بلد سعوا في إفساد أحواله ، والملحدون كالحاصرين من الخارج ، فالدخلاء يفتحون الحصن فهم شر على الإسلام من غير الملبسين له . "

وأوضح مثال على ذلك ما جاء مسطراً في صفحات التاريخ من قصة ابن العلقمي الرافضي مع التار وتآمره على الإسلام كما في البداية والنهاية وغيرها .

وهذا والله داب أهل البدع على مر الأزمان ، وتوالي الدهور والأيام ، فخطرهم على البلاد والعباد والدين عظيم ، إنهم من تشرب باهوى ، وباع الدين والآخرة بالأولى ، فصدق الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى إذ يقول كما في فتح القدير (١٢٣ / ١) عند قوله تعالى ﴿ ولئن اتبعت أهوائهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ﴾ [البقرة - ١٤٥] : " وقد تكون مفسدة اتباع أهوية المبتدعة اشد على هذه الأمة من مفسدة اتباع أهوية أهل الملل ، لأن المبتدعة ينتمون إلى الإسلام ، ويظهرون للناس أنهم ينصرون الدين ، ويبتغون أحسنه وهم على العكس من ذلك ، والضد لما هنالك ، فلا يزالون ينقلون من عييل إلى

أهويتهم من بدعة إلى بدعة ، ويدفعونه من شناعة إلى شناعة حتى يسلخونه من الدين ، ويخرجونه منه وهو يظن أنه في الصميم ، وأن الصراط الذي عليه هو المستقيم ، هذا إن كان في عداد المقصرين ، ومن جهلة الجاهلين ، وإن كان من أهل العلم والفهم المميزين بين الحق والباطل كان اتباعه لأهويتهم ممن أضله الله على علم وختم على قلبه وصار نقمة على عباد الله ، ومصيبة صلبها الله على المقصرين ، لأنهم يعتقدون أنه في علمه وفهمه لا يعيل إلا إلى الحق ، ولا يتبع إلا الصواب فيضلون بضلاله فيكون عليه إثم وإثم من اقتدى به إلى يوم القيامة . نسأل الله اللطف ، والسلامة والهداية " .

فواجب على الأمة أن تلوذ حول علمائها . أولئك العلماء الربانيون الذين يحيون ما أمات الناس من السنة ، ويميتون ما أحيوه من البدع ، الذين قام بهم الكتاب وبه قاموا ، ونطق بهم الكتاب وبه نطقوا . وإياك يا طالب الحق أن تفتتن بمثل هذه الزخارف من أقاويل الجاهل . والله المستعان .

إتحاف الوري بما تيسر من أحكام البدعة والهوى

المقصد الثالث : ذكر طائفة من تحذير السلف من أهل البدع والأهواء :-

قال أبو قلابة : " لا تجالس أصحاب الأهواء . أو قال : أصحاب الخصومات . فإني لا آمن أن يغمسوك في ضلالتهم ، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون " .^(١)

وحكى ابن وضاح عن غير واحد^(٢) أن أسد ابن موسى كتب إلى أسد بن الفرات : " أعلم أخي أن ما حملني على أن أكتب إليك ما أنكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس ، وحسن حالك مما أظهرت من السنة ، وعيبك لأهل البدعة ، وكثرة ذكرك لهم ، وطعنك عليهم فقمعهم الله بك ، وشد بك ظهر أهل السنة ، وقواك عليهم بإظهار عيهم ، والطعن فيهم ، وأذهم الله بذلك ، وصاروا يبدعتهم مستترين ... إلى أن قال : إن الله عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً يذب عنها ، وينطق بعلماتها . فاعتنم يا أخي هذا الفضل ، وكن من أهله " .

وجاء أيضاً في البدع والنهي عنها (رقم ١٢٦/ص ٩٩) قال ابن وضاح رحمه الله تعالى : أنا أسد قال : نا شهاب بن خراش الحوشبي عن العوام بن حوشب أنه كان يقول لابنه : " يا عيسى أصلح الله قلبك ، وأقل مالك ، وكان يقول : والله لئن أرى عيسى يجالس أصحاب البرابط والأشربة والباطل أحب إلي من أن أراه يجالس أصحاب الخصومات - يعني أهل البدع - . "

وجاء أيضاً (برقم ١٤٤/ص ١٠٧) : نا أسد نارديج بن عطية عن يحيى بن أبي عمرو السنياني قال : كان يقال : يأبى الله لصاحب بدعة بتوبة ، وما انتقل صاحب بدعة إلا إلى شر منها .

وخرج ابن وهب عن ابن عون عن محمد بن سيرين أنه قال : " إنني أرى أسرع الناس ردة أصحاب الأهواء . وكان ابن سيرين يرى أن هذه الآية في أصحاب الأهواء ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ [الأنعام - ٦٨]^(٣)

وذكر الآجري رحمه الله تعالى في الشريعة والالكاكي (برقم ٢٣١) وابن بطنة في الإبانة (٤٣/١) عن أبي الجوزاء أنه ذكر أصحاب الأهواء فقال : " والذي نفس أبي الجوزاء بيده لئن قتلتني داري قردة وخنازير أحب إلي من أن يجاورني رجل منهم " .

وخرج ابن وهب في النهي عن البدع (ص ٣٨-٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة ، وأماتوا سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن " ^(٤)

وروى الإمام أبو داود في سننه (رقم ٤٦١١) بسند صحيح أن معاذ بن جبل كان لا يجلس مجلساً

(١) شرح السنة للبخاري (٢٢٧/١) وانظر الإبانة (٤٣٥/٢) والالكاكي رقم (٢٤٢) .

(٢) الاعتصام (٣٣-٣٤) .

(٣) المصدر السابق (٦٧/١) .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير . كما في المجمع (١٨٨/١) . وقال الهيثمي : " رجاله موثقون " .

للمذكر إلا قال : " الله حكم قسط هلك المرتابون . إن ورائكم فتناً يكثر فيها المال ، ويفتح فيها القراءان حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والحر والعبد . يوشك قاتل أن يقول : ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القراءان ؟ ما هم بمتبعي حتى ابتدع لهم غيره . فيياكم وما ابتدع ، فإن ما ابتدع ضلالة ، وأحذركم زيغة الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم ، ويقول المنافق كلمة الحق " .

وقال مسلم بن يسار : " لا تمكن صاحب بدعة سمعك فيصب فيه ما لا تقدر أن تخرجه من قلبك " ^(١) وقال مفضل بن مهلهل : " لو كان صاحب البدعة إذا جلست إليه حدثك بدعته حذرتة وفررت منه ، ولكنه يحدثك بأحاديث السنة في بدو مجلسه ثم يدخل عليك بدعته فلعلها تلزم قلبك فتى تخرج من قلبك " . ^(٢)

وخرج ابن وهب عن أبي إدريس الخولاني أنه قال : " لأن أرى في المسجد ناراً لا أستطيع إطفائها أحب إليّ من أن أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها " . ^(٣)

وذكر اللالكائي (برقم ٢٦٩) عن الفضيل بن عياض أنه قال : " من أتاه رجل فشاورة فدلّه على مبتدع فقد غش الإسلام ، واحذروا الدخول على أصحاب البدع فإنهم يصدون عن الحق " . ونقل أيضاً (برقم ٢٦٢) وابن بطة في الإبانة (٤٢/١) عنه أنه قال : " لا تجلس مع صاحب بدعة فيأني أخاف أن تنزل عليك اللعنة " .

ونقل عنه أيضاً اللالكائي (برقم ٢٦٤) وابن بطة في الإبانة (٤٢/١) قوله : " صاحب البدعة لا تأمنه على دينك ، ولا تشاوره في أمرك ، ولا تجلس إليه . فمن جلس إلى صاحب بدعة ورثه الله العمى " . ونقل اللالكائي عنه أيضاً (برقم ٢٦٧) أنه قال : " أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة ، وينهون عن أصحاب البدع " .

ونقل الآجري في الشريعة (٦٤/١) واللالكائي (برقم ٢٥٩) عن يحيى بن أبي كثير أنه قال : " إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق غيره " .

وذكر اللالكائي (برقم ٢٦٠) عن ابن المبارك أنه قال لإسماعيل الطوسي : " يكون مجلسك مع المساكين ، وإياك أن تجلس صاحب بدعة " .

وفي اللالكائي (برقم ٢٥٢) وابن بطة في الإبانة (٤٠/١) عن أيوب السختياني رحمه الله تعالى أنه قال : " قال لي أبو قلابة : يا أيوب احفظ عني أربعاً : لا تقولن في القراءان برأيك ، وإياك والقدر ، وإذا ذكر

(١) انظر الإبانة (٤٥٩/٢) .

(٢) الإبانة (٤٤٤/٢) .

(٣) الاعتصام (٨٢/١) .

أصحاب محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فأمسك ، ولا تمكّن أصحاب الأهواء من سمعك " .
ونقل اللالكائي (برقم ٢٤٠) وابن بطة (٤٠/١) والدارمي في سننه (رقم ٤٠٧) عن الحسن أنه كان يقول : " لا تجالسوا أهل الأهواء ، ولا تجادلوهم ، ولا تسمعوا منهم " .

وجاء عند عبد الرزاق في مصنفه (برقم ٢٠٠٩٩) واللالكائي (برقم ٢٤٨) وابن بطة (٤٠/١) عن معمر قال : " كان ابن طاووس جالساً فجاء رجل من المعتزلة . قال : فجعل يتكلم . قال : فأدخل ابن طاووس أصبعيه في أذنيه . قال : وقال لابنه : أي بني أدخل أصبعيك في أذنك ، واشدد لا تسمع من كلامه شيئاً . قال معمر : يعني أن القلب ضعيف " .

وأخرج الآجري في الشريعة (٥٧/١) وابن بطة في الإبانة (٤٤،٤٠/١) واللالكائي (برقم ٢٩١) أن سلام بن أبي مطيع قال : " وقال رجل من أصحاب الأهواء لأيوب : أسألك عن كلمة ؟ فولى أيوب وهو يقول : لا ولا نصف كلمة . مرتين يشير بأصبعه " .

وذكر ابن الجوزي في التلييس (ص ١٥) : وقال سعيد الكبري : مرض سليمان التيمي فبكى في مرضه بكاءً شديداً . فقيل له : ما يبكيك أتخرج من الموت ؟ قال : " لا . ولكني مررت على قدري فسلمت عليه ، فأخاف أن يحاسبني الله عليه " .

وأخرج اللالكائي (برقم ٢٥٦) عن عاصم الأحول قال : قال قتادة : " يا أحول إن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي لها أن تذكر حتى تحذر " .

وأخرج اللالكائي (برقم ٢٧٣) عن إبراهيم بن ميسرة قال : " ومن وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام " .

وذكر ابن بطة في الإبانة (٤٠/١) واللالكائي (برقم ٢٤٩) عن عبد الرزاق قال : قال لي ابن أبي يحيى : " إني أرى المعتزلة عندكم كثير . قلت : نعم . وهم يزعمون أنك منهم . قال : أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أكلمك ؟ قلت : لا . قال : لم ؟ قلت : لأن القلب ضعيف ، وليس الدين لمن غلب " .

وأخرج ابن وضاح في البدع والنهي عنها (رقم ٥٣) والآجري (٥٧/١) واللالكائي (برقم ٢٤٢) عن سعيد بن عامر قال : سمعت أسماء تحدث . قال : دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء . فقالا : يا أبا بكر نحدثك بحديث . قال : لا . قال : فنقرأ عليك آية من كتاب الله ؟ قال : لا . قال : فقومان عني ، وإلا قمت . فقام الرجلان فخرجا . فقال بعض القوم : ما كان عليك أن يقرأ عليك آية ؟ قال : إني كرهت أن يقرأ آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي " .

وأخرج اللالكائي (برقم ٢٣٩) بسنده إلى ثابت بن عجلان أنه قال : " أدركت أنس بن مالك وابن المسيب والحسن البصري وسعيد بن جبير والشعبي وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وطاووس ومجاهد وعبد الله بن أبي مليكة والزهري ومكحول والقاسم أبا عبد الرحمن وعطاء الخرساني وثابت البناني

والحكم بن عتبة وأيوب السختياني وهاد ومحمد بن سيرين وأبا عامر - وكان قد أدرك أبا بكر الصديق -
 ويزيد الرقاشي وسليمان بن موسى : كلهم يأمروني في الجماعة ، وينهوني عن أصحاب الأهواء .
 وفي السير (٤٥٢/٨) وقال محمد بن داود الخرائي : قلت لسفيان بن عيينة : إن هذا يتكلم في القدر -
 يعني إبراهيم بن أبي يحيى - فقال سفيان : عرفوا الناس أمره ، واسألوا ربكم العافية .
 وفي السير أيضاً (١٠٩/١٦) وقال بندار بن الحسين شيخ الصوفية الشيرازي : صحبة أهل البدع تورث
 الإعراض عن الحق .
 وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : " لأن يلق الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يتلبه
 بالكلام " (١) .

وقال رحمه الله تعالى : " حكمي في أصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ، ويجملوا على الإبل ، ويضاف بهم
 في العشائر والقبائل ، ويقال هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام " (٢) .
 وقال ابن حزم رحمه الله تعالى : " فالزموا - رحمكم الله - القراءة كلام ربكم عز وجل ، وسنن نبكم -
 صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، وما مضى عليه الصحابة والتابعون والفقهاء السابقون ، وأصحاب
 الآثار والسنن . وإياكم والآراء المحدثّة في الدين ، وإياكم والبدع وأهلها ... " (٣) .
 قلت : ومن زجر السلف رحمهم الله تعالى لأهل البدع والأهواء ترك السلام عليهم إن وجدت المصلحة
 من ذلك .

جاء في الإبانة الصغرى لابن بطة (ص ١٦٢) والسنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (٤٣٥/٢) عن هاد بن زيد
 قال : " كنت مع أيوب ويونس وابن عون وغيرهم ، فمر بهم عمرو بن عبيد فسلم عليهم ، ووقف وقفة
 فما ردوا عليه السلام . ثم جاز فما ذكروه " .
 وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى : " لا ينكح أهل البدع ولا يُنكح إليهم ، ولا يسلم عليهم " (٤) .
 وفي السنة للخلال (٤٩٣/١-٤٩٤) أن رجلاً سأل الإمام أحمد رحمه الله تعالى فقال : " جار لنا رافضي .
 يسلم عليّ أرد عليه ؟ قال : لا . " .
 وقال النووي رحمه الله تعالى : " وأما المتدع ، ومن اقترف ذنباً عظيماً ولم يتب منه ، فينبغي أن لا يسلم

(١) تبين كذب المفترى لابن عساكر ص (٣٣٥) . واللائكاتي (١/١٤٦) . وابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه
 ص (١٨٢) .

(٢) انظر حلية الأولياء (١١٦/٩) والانتقاء ص (٨٠) والآداب الشرعية لابن مفلح (٢٢٥/١) .

(٣) انظر كتاب الدرّة في ما يجب اعتقاده له - رحمه الله تعالى - ص (٤٣٥) .

(٤) المدونة (٨٤/٩) .

عليهم ، ولا يرد عليهم السلام . كذا قال البخاري وغيره من العلماء " (١) .

وقال المهلب بن احمد : " ترك السلام على أهل المعاصي سنة ماضية ، وبه قال كثير من أهل العلم في أهل البدع " .

قال الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى : " وقد ذهب جمهور العلماء إلى أنه لا يسلم على الفاسق ولا المبتدع " (٢) .

الفرع الخامس : عيادة المبتدع وصاحب الهوى :-

لما هو معلوم أن البدعة على قسمين :

١- بدعة مكفرة .

٢- بدعة مفسقة .

فأما المبتدع الكافر ببدعته فإن القول في عيادته كالقول في عيادة الكفار عامة لدخوله في دائرة الكفر فانطبق الوصف عليه .

قال الدكتور الرحيلي في كتابه الماتع (موقف أهل السنة والجماعة) (٤٩١/١ - ٤٩٢) : " فلا تشرع زيارة المبتدع إلا إذا غلب على الظن تحقق مصلحة من ورائها ، كاستجابة المبتدع إلى الدعوة إلى السنة ، وإقلاعه عن البدعة ، وتحقيق بها أمر مشروع كصلة قريب ، أو إحسان إلى جار . لكن ينبغي أن يعلم عند عيادة المبتدع الكافر صلة لرحمه أو إحساناً لجواره - وكان داعية لبدعته - أن هجره مشروع ، فإن رجي من هجره بترك عيادته رجوعه عن بدعته ، وتوبته منها فإنه حينئذ لا يعاد . وجملة القول أن عيادة المبتدع الكافر إنما تشرع في حالتين :

الحالة الأولى : - أن يرجي منها توبة المبتدع عن بدعته ، ورجوعه إلى الإسلام والسنة .

الحالة الثانية :- أن يتحقق بها أمر مشروع كصلة رحم أو إحسان إلى جار أو غير ذلك من المصالح المشروعة ، وهذه الحالة مقيدة بان لا يكون المبتدع معلناً ببدعته ، فإن كان كذلك ، فإن هجره مشروع ، وعندئذ يراعى أي الأمرين أصلح . هجره أم عيادته ؟ فيقدم الأرجح منهما ، وذلك بناءً على ما جرت عليه قاعدة التشريع من تقديم أعظم المصلحتين نفعاً إن لم يمكن الجمع بينهما ... إلى أن قال : وأما إن كان المبتدع لم يبلغ ببدعته مبلغ الكفر ، وإنما محكوم له بالإسلام ، فإن عيادته جائزة بل إن عيادته في مرضه من جملة حقوقه على المسلمين ... وهذا إن كان المبتدع غير معلن لبدعته أما إن كان معلناً لها فلا بد من الإنكار عليه ، ومن ذلك ترك عيادته هجراً له ليتوب " (٣) .

(١) الأذكار ص (٢٢٨) .

(٢) الفتح (٤٠/٩٩) . وانظر للمزيد موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع للرحيلي (٥٩١/٢ - ٥٢٨) .

(٣) قارن بالإفادة لما جاء في المرض والعيادة . لابن حجر الهيتمي - رحمه الله تعالى - ص (٣٦) .

جاء في الآداب الشرعية لابن مفلح رحمه الله تعالى (١/٢٣٣) : " قال الخلال : قال أبو عبد الله : يهجر أصحاب المعاصي ، ومن قارف الأعمال الردية ... إلى أن قال : وذكر غيره في عيادة المبتدع الداعية روايتين ، وترك العيادة من الهجر " .

الفرع السادس : ترك التعبد خلف أهل البدع : - وتحت مقصداً :

المقصد الأول : مساجد المبتدعة : -

ينبغي على أهل الاتباع أن يسعوا في إقامة مساجد سنة ، فإذا ما وجدت فإنه يعول عليها في إقامة الشعائر وتعظيمها ، وتكون مجمع المصلين لتأدية الصلوات فرضاً ونفلًا خلف إمام من أهل السنة والجماعة . وهذا هو الأصل الذي لا يحاد عنه . أما إذا انعدمت هذه المساجد فما وجدت إلا مساجد فيها البدع القولية والعملية فإن الواجب والحالة هذه هو البحث عن مسجد فيه السنة مقامه ، وأهله أهل سنة . فإن لم يوجد إلا أمثال تلك المساجد ، فإنه يصلى فيها مع إداء النصح وبيان البدع والتحذير منها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولا يمنع هذا أن يجتمع عقلاء تلك البلدة ممن يرجي فيهم الخير لتغيير تلك المنكرات ، وإصلاح المساجد من كافة ما يشوبها من البدع والعوائد ، فإن لم يحصل هذا فيعاونون جميعاً في بناء المسجد الذي تقام فيه السنة ، وتعظم فيه الشعائر . والله الموفق والمعين .

وقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة ما يلي :

سؤال : هل يمكن أن تهجر المساجد التي تكثر فيها البدع ؟

الجواب : ينبغي للمسلم أن يسع في إزالة هذه البدع ما أمكنه ، فإذا تعذرت إزالتها فإنه يتركها ، ويصلى في المسجد الذي ليس فيه بدع . وبالله التوفيق . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .^(١)

(١) فتاوى إسلامية (١٤/٢) وانظر كتاب « كتاب البدع وما لا أصل له » ص (١٥٢) .

المقصد الثاني : الصلاة خلف أهل البدع :-

على التفصيل في نوعي البدع يفصل في الكلام على هذا المقام - حكم الصلاة خلف المبتدعة - فيقال : إن كان هذا الذي أظهر البدع ممن أخرجته بدعته عن الإسلام فلا تصح الصلاة خلفه ، ومن صل خلفه والحالة هذه فإن صلاته باطلة ، لا يسقط بها الطلب ، ولا تبرأ بها الذمة .

والقاعدة في هذا أن « من صحت صلاته في نفسه صحت صلاته بغيره . ومن بطلت صلاته في نفسه فلا تصح إمامته لغيره » . وهذا مما لا نزاع فيه بين الفقهاء .

و أما من أظهر البدع سواء كانت قولية أو فعلية وهي مفسدة لا تخرجه من الملة ، وإنما هو من جملة فسقة المسلمين .

فالصلاة خلفه جائزة ، وترك الصلاة خلف أمثال هؤلاء على اعتقاد انها لا تصح مخالف لطريقة السلف ، لكن من رأى ترك الصلاة خلفهم - مع الإقرار بجوازها - ولكن رأى تركها من جملة الهجر فلا نكير عليه . وقد تكلم على هذا المقام الآجري في الشريعة (ص ٩١) وشيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (١/٦٣-٦٤) والشاطبي في الاعتصام (١/١٧٧) وابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٤٢٠) .

وأسوق كلاماً نافعاً في هذا المقام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى من منهاج السنة (١/٦٣-٦٤) :
" وكذلك تنازع الفقهاء في الصلاة خلف أهل الأهواء والفجور : منهم من أطلق الإذن ، ومنهم أطلق المنع ، والتحقيق أن الصلاة خلفهم لا ينهى عنها لبطلان صلاتهم في نفسها لكن لأنهم إذا أظهروا المنكر استحقوا أن يهجروا ، وألا يقدموا في الصلاة على المسلمين ، ومن هذا الباب ترك عبادتهم ، وتشيع جنازتهم كل هذا من باب المنكر المشروع في إنكار المنكر النهي عنه ، وإذا عرفت أن هذا من باب العقوبات الشرعية علم أنه يختلف باختلاف الأحوال من قلة البدعة وكثرتها ، وظهور السنة وخفائها ، وأن المشروع قد يكون هو التأليف تارة ، والهجران أخرى كما كان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يتألف أقواماً من المشركين ممن هو حديث عهد بالإسلام ، ومن يخاف عليه الفتنة ، فيعطي المؤلفه قلوبهم ما لا يعطي غيرهم ... وكان يهجر بعض المؤمنين كما هجر الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك . لأن المقصود دعوة الخلق إلى طاعة الله بأقوم طريق ، فيستعمل الرغبة حيث تكون أصلح ، والرغبة حيث تكون أصلح " .

قلت : ومن الأدلة على هذا المقام ما في البخاري وغيره أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكذا أنس بن مالك . وكان الحجاج فاسقاً ظالماً .

والأصل في هذا ما في البخاري من قوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (يصلون لكم فإن أصابوا فلكم وهم ، وإن أخطؤوا فلكم وعليهم) . ويجب أن يعلم أن المسلم ليس مكلفاً بأن يسأل عن اعتقاد إمام الصلاة ، بل الصلاة خلف المستور جائزة . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " فالصلاة

خلف المستور جائزة باتفاق علماء المسلمين ، ومن قال إن الصلاة محرمة خلف من لا يعرف حاله فقد خالف إجماع أهل السنة ، وقد كان الصحابة يصلون خلف من يعرفون فجوره كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وقد كان يشرب الخمر ، وصلى بهم يوماً الصبح أربعاً^(١) ، وجلده عثمان على ذلك ، ولما انتهت الصلاة . قال لهم : تريدون أزيدكم ؟ قالوا : ما زلنا في زيادة منذ توليت الخلافة . كما في صحيح مسلم . وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج كما في البخاري . ولا يجب على المؤمن أن يسأل عن عقيدة الإمام أو يختبره ، بل يصلي وراءه ، ويحمله على الأصل فإن ظهر له بعد ذلك شيء يحكم بمقتضاه . أما إن كان في البلدة أكثر من مسجد فيترك المبتدع زجراً له . لا لأن الصلاة باطلة وراءه . اهـ^(٢) .

وانظر شرح الطحاوية لابن أبي العز رحمة الله (ص ٣٧٤) .

تنبيه : - ترك الصلاة على أهل المعاصي والفجور والمجاهرين بالبدع إذا ما توا من قبل أهل الفضل والصلاح والشرف في الدين مقيدة بشروط هي :

« الشرط الأول : أن يقصد بترك الصلاة على العلن للبدعة الزجر والتأديب لغيره عن مثل فعله لأن الصلاة عليه غير جائزة قال ابن سيرين : " لا نعلم أحداً من أصحاب محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، ولا من غيره من التابعين تركوا الصلاة على أحد من أهل القبلة تأثماً " (٣) .

الشرط الثاني : أن يغلب على ظن التارك للصلاة عليهم تحقق تلك المصلحة ، وهي الارتداع والانزجار عن مثل فعل الميت ، وإلا لم يكن مشروعاً له ترك الصلاة على ذلك الميت ، فإن تركه الصلاة عليه من غير تحقق المصلحة المرجوة من ذلك تعطيلاً لأمر مشروع وهي الصلاة على ذلك المسلم ، من غير تحقق مصلحة راجحة ، بل إن المصلحة هنا معدومة ، وهذا مخالف لما جاءت به الشريعة من تحصيل أكثر المصالح ودرء أكبر قدر من المفاسد ما أمكن إلى ذلك سبيلاً .

الشرط الثالث : إنه في حالة ترك الصلاة على المبتدع العلن لا بد أن يوجد في المسلمين من يصلي عليه ، ويدفنه من غير التاركين للصلاة عليه ، وإلا فلا يجوز ترك الصلاة على المبتدع ، وإن تحقق بذلك الترك مصلحة الزجر ، والعقوبة عن بدعته . فإن المفسدة الحاصلة بترك الصلاة على المسلم ، ودفنه أعظم من مفسدة ترك الزجر والتأديب عن البدع في هذه الحالة الخاصة . « (٤) .

(١) الذي في مسلم أنها ركعتان . فتنبه .

(٢) انظر قاعدة أهل السنة في رحمة أهل البدع ص (٨٢٧) .

(٣) اللالكاتي (١٠٦/٣) .

(٤) نقلاً عن كتاب موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع (١/٤٣٢-٤٣٣) . بتصرف .

الفرع السابع : كتب أهل الأهواء والبدع :-

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه رقم (٦٠٤٠) : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج قال : أخبرني موسى بن عقبة ، عن نافع عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال : (إذا أحب الله عبدا نادى جبريل أن الله يحب فلانا فأجبه ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلانا فأجبه . فيحبه أهل السماء . ثم يوضع له القبول في الأرض) . ورواه مسلم رقم (٢٦٣٧) من طريق أخرى إلى أبي هريرة قال : رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : (إن الله إذا أحب عبدا . دعا جبريل . فقال : إني أحب فلانا فأجبه . قال : فيحبه جبريل . ثم ينادي في أهل السماء . فيقول : إن الله يحب فلانا فأجبه . فيحبه أهل السماء . قال : ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلانا فأبغضه . فيبغضه جبريل . ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه . قال : فيبغضونه . ثم توضع له البغضاء في الأرض) .

فاحمد الله الذي جعل لكتب أهل السنة قبولاً عند عباده الصالحين ، وجب قلوبهم إليها ، وكره لهم كتب أهل الزيغ والضلالة ، وهذا من فضل الله على أهل السنة ، ولكن أكثرهم لا يعلمون .
فذلك كتب الأئمة الفحول الأعلام كالبخاري ومسلم ومن قبلهما ومن بعدهما تلقى اهتماماً كبيراً على مر الأزمان ، وتوالي الدهور والأيام ، وهذه كتب الرافضة الحبيثة ، وكتب الشيعة المملوءة بالأحاديث الباطلة الوضيعة وغيرها من سائر الكتب الذميمة ، المملوءة بالبدع والآفات الشنيعة ، قد دفت ونسيت إلا عند مطموس البصيرة ، الذي حاله كالبهيمية ، فلا يفرق بين الفضيلة ، ولا بين غيرها من الرذائل الوضيعة . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

فعلى يقضان البصيرة ، أن يحرص على الكتب الرفيعة ، التي احتوت على العلوم والأحكام والمواظب البليغة ، والتي تكفي من تأملها ، واعتكف على دراستها ، وتقيه من كل آفة وشبهة عذيلة .
فوطن نفسك باطالع الحق لها واجعلها بمثابة المجلس والصاحب الحريص المعين على الفضيلة .
واحذر كل الحذر من أن تقع أسيراً في أيدي الكتب والآفات الشنيعة . واعلم أن المجلس إما أن يكون صالحاً معينا على جلب الخير والفضيلة ، وإما أن يكون جليس سوء معينا على جلب الشر وتحصيل الرذيلة . فخذها نصيحة ، بعبارة فصيحة ، احرص على اقتناء الكتب النافعة ، وإلا حصلت المصيبة العظيمة ، من فتنه الوقوع في الكتب الذميمة ، كتب أهل الأهواء والبدع المشينة .
فاحرص أيها السالك على الحق أن تكون كتب السلف في حوزتك ، فإنها كتب حوت الخير الكثير ، والفضل العظيم . وإياك وكتب أهل الأهواء والبدع فهي كتب يجب أن تترك « خوفاً من الفتنة بها ، أو

ترويحها بين الناس ، فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب . (١) .

جاء في مسند أحمد وسنن أبي داود وغيرهما من حديث عمران بن حصين أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال في الدجال : (من سمع به فليأمن عنه . فوالله إن الرجل ليأمنه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه لما يثبت به من الشبهات) (٢) .

وقد حذر النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - من قراءة كتب أهل الكتاب لما فيها من التحريف والتبديل . فعن جابر رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه أتى النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فغضب فقال : (أمتهم كون يابن الخطاب . والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به . والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني) (٣) .

وقال ابن عبد البر القرطبي رحمه الله تعالى في كتابه جامع بيان العلم (١١٧/٢) : أخبرنا إسماعيل بن عبد الرحمن قال : حدثنا إبراهيم بن بكرة قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد بن إسحاق بن خويرز منداد المصري المالكي قال في كتابه الإجازات من كتاب في الخلاف : قال مالك : " لا تجوز الإجازات في شيء من كتب أهل الأهواء والبدع ، والتنجيم . وذكر كتاباً ثم قال : وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب المعتزلة أصحاب الكلام وغيرهم ، وتفسخ الإجازة في ذلك . قال : وكذا كتاب القضاء بالنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك . وقال في كتاب الشهادات في تأويل قول مالك : لا تجوز شهادة أهل الأهواء والبدع . قال : أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام وكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غيره ، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً ، ويهجر ويؤدب على بدعته ، فإن تمادى عليها أستتيب منها . "

وذكر الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (٢٣٢/١) بإسناده إلى الفضل بن زياد قال : وسألت أبا عبد الله . عن الكرايسي وما أظهر ؟ فكلح وجهه ثم أطرق ثم قال : هذا قد أظهر رأي جهم . قال الله تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ [التوبة - ٦] . إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها تركوا آثار رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأصحابه وأقبلوا على هذه الكتب . "

وساق اللالكائي رحمه الله تعالى : في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٠٩ رقم ٣٢٢) بإسناده قال :

(١) شرح لمعة الاعتقاد ص (١٥٩-١٦٠) .

(٢) صححه العلامة الألباني - رحمه الله تعالى - في صحيح الجامع رقم (٦٣٠) وتخريج المشكاة رقم (٥٤٨٨) . وشيخنا مقبل - حفظه الله تعالى - في الجامع الصحيح (١/٢٥٧) .

(٣) أخرجه أحمد (٣/٣٨٧) والدارمي (١/١٢٥) وغيرهما وهو حسن كما في الإرواء (٦/٣٣٨) .

قال ابو محمد : سمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع . يغفلان في ذلك أشد التغليظ وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار . وينهيان عن مجالسة أهل الكلام ، والنظر في كتب المتكلمين ، ويقولان لا يفلح صاحب كلام أبداً . قال أبو محمد : وبه أقول أنا . وقال شيخنا - يعني المصنف - : وبه نقول . " اهـ

وقال أيضاً برقم (٣٢٣) : " ووجدت في بعض كتب أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي رحمه الله تعالى لما سمع منه يقول : " مذهبننا وخيارنا اتباع النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأصحابه والتابعين ومن بعدهم بإحسان وترك النظر في موضع بدعهم والتمسك بمذهب أهل الأثر مثل : أبي عبد الله أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم وأبي عبيد القاسم بن سلام والشافعي . ولزوم الكتاب والسنة والذب عن الأئمة المتبعة لآثار السلف واختيار ما اختاره أهل السنة من الأئمة في الأمصار مثل : مالك بن أنس في المدينة والأوزاعي بالشام والليث بن سعد بمصر وسفيان الثوري وحماد بن زيد في العراق من الحوادث لما لا يوجد فيه رواية عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - والصحابة والتابعين وترك النظر في كتب الكرايسسي ومجانبة من يناغل عنه وأصحابه ... " اهـ

وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢٣٢/١) : " وذكر الشيخ موفق الدين رحمه الله تعالى في المنع من النظر في كتب المبتدعة قال : وكان السلف ينهاون عن مجالسة أهل البدع والنظر في كتبهم والاستماع لكلامهم " اهـ

وقال الحافظ سعيد بن عمرو البرذعي شهدت أبا زرعة وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل : " إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما ينفعك . قيل له : في هذه الكتب عبرة فقال : من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة ، بلغكم أن سفيان ومالكاً والأوزاعي صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وما أسرع الناس إلى البدع " وانظر تاريخ بغداد (٢١٥/٨) ، والتهذيب لابن حجر (١٢٤/٢) .

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في الميزان (٤٣١/١) عقبه : " مات الحارث المحاسبي سنة ثلاث وأربعين ومائتين ، وابن مثل الحارث . فكيف لو رأى أبو زرعة تصانيف المتأخرين كالقوت لأبي طالب ، وأين مثل القوت كيف لو رأى بهجة الأسرار لأبي جهضم ، وحقائق المسلمي ؟ لطار له . وكيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسي في ذلك على كثرة ما في الإحياء من الموضوعات ؟ وكيف لو رأى الفتنة للشيخ عبد القادر ؟ وكيف لو رأى فصوص الحكم والفتوحات المكية ؟ بل لما كان الحارث لسان القوم في ذلك العصر ، وكان معاصره ألف إمام في الحديث فيهم أحمد وابن راهوية ، ولما صار أئمة الحديث مثل : ابن الدهيس وابن شجاعة كان قطب العارفين كصاحب الفصوص ، وابن سبعين . نسأل الله العافية "

قلت : رحم الله الحافظ ابا عبد الله الذهبي . كيف لو طال به العمر ورأى مؤلفات أهل هذا العصر التي اتسمت بالتقصير ، والتفريط . بل كيف لو رأى مؤلفات بعض أهل عصرنا ممن انتسب إلى العلم - (وكان كلابس ثوبي زور) والتي قد جمعت بدع السابقين واللاحقين . ومنهم من تألم منه رحمه الله تعالى . كأمثال الكوثري وتلامذته وهكذا الغزالي والقرضاوي وغيرهما ؟ كأني به فوق من طار لبه . ففسأل الله السلامة من كل شر ومكروه .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية (ص ٢٢٣) : " ومسألة وضع الكتب فيها تفصيل ليس هذا موضعه ، وإنما كره أهد ذلك ومنع لما فيه من الاشتغال به ، والإعراض عن القرآن والسنة ، والدب عنهما ، وأما كتب إبطال الآراء والمذاهب المخالفة لها فلا بأس بها ، وقد تكون واجبة ومستحبة ومباحة بحسب اقتضاء الحال . والله أعلم .

والمقصود أن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها وهي أولى بذلك من إتلاف آلات اللهو والمعارف ، وإتلاف آية الخمر فإن ضررها أعظم من ضرر هذه ، ولا ضمان فيها كما لا ضمان في كسر أواني الخمر وشق زقاقها " .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى في زاد المعاد (٥١٨/٣) بعد ذكره لقصة توبة كعب بن مالك : " فيه المبادرة إلى إتلاف ما يخشى منه الفساد والمضرة في الدين ، وإن الحازم لا ينتظر به ولا يؤخره ، وهذا كالعصير إذا تخمر ، وكالكتاب الذي يخشى منه الضرر والشر ، فالحزم المبادرة إلى إتلافه وإعدامه " .

قلت : وقد أفتي بعض علماء المغرب بإحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي . قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية (١٧٤/١٢) : " وقد شنع عليه ابو الفرج ابن الجوزي ثم ابن الصلاح في ذلك تشنيعاً كثيراً ، وأراد المازري أن يحرق كتابه إحياء علوم الدين ، وكذلك غيره من المغاربة ، وقالوا : هذا كتاب إحياء علوم دينه ، وأما ديننا فإحياء علومه كتاب الله وسنة رسوله كما قد حكيت ذلك في ترجمته من الطبقات " .

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في الصوارم الحداد (ص ٦٦-٦٧) : " وبمثل هذا الجواب أجاب جماعة من العلماء الذين تأخر عصرهم عن عصر هؤلاء المجبيين في سؤال ورد إليهم وصرحوا بأن ذلك كفر منهم : العلامة البلقيني الشافعي المجتهد ، والحفظ ابن حجر العسقلاني ، ومحمد بن عرفة المالكي عالم إفريقية ، والقاضي بالديار المصرية عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون الحضرمي المالكي . وقال في أثناء جوابه : " وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة ، وما يوجد من نسخها بأيدي الناس . مثل : الفصوص ، والفتوحات لابن عربي . والبدع لابن سبعين ، وخلع النعيلين لابن قسي ، وعلى اليقين لابن بروجان ، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض والعفيف التلمساني وأمثالهما أن يلحق بهذه الكتب ،

وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة الثانية من نظم ابن الفارض . فالحكم في هذه الكتب كلها وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالحريق بالنار والغسل بالماء . إلى آخر ما أجاب به ... " (١) .

قلت : ما أجل ما جاء في سير أعلام النبلاء (٢) من قول الحافظ الذهبي رحمه الله في صدد كلامه على الغزالي أبي حامد !

قال : " وجب إليه إدمان النظر في كتاب رسائل إخوان الصفا ، وهو داء عضال ، وجرب مرد ، وسم قتال ، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء وخيار المخلصين لتلف . فاحذر الحذر من هذه الكتب ، واهربوا بدينكم من شبهة الأوائل وإلا وقعتم في الحيرة . فمن رام النجاة والفوز فليزِم العبودية ، وليدمن من الاستعانة بالله ، وليستهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام ، وأن يتوفى على إيمان الصحابة وسادة التابعين . والله الموفق . "

فهذه طائفة من أقوال الأئمة رحمهم الله تعالى في حكم النظر وكذا إتلاف كتب أهل البدع والزيف والمقالات المضلة ، والتي كثرت واستفاضت في عصرنا هذا والتي لو جمعها الجامع لجاءت في مجلدات . والله المستعان . وقد جمع بعض حذاق عصرنا من أهل السنة من هذا الكثير كما فعل الشيخ الفاضل : مشهور بن حسن بن سلمان في كتابه الماتع (كتب حذر منها العلماء) فجزاه الله خيراً .

وبالجملة : - فما سبق من تقرير حكم النظر في كتب أهل البدع والأهواء إنما هو في حق من لا يؤمن عليه فتنها . وأما من كانت الفتنة في حقه مأمونة لكونه على علم متين وعقيدة صحيحة فإنه إذا أراد أن ينظر في أمثال تلك الكتب ، وكان غرضه في ذلك ومنتهاى إربه « من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم والرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به ، وكان قادراً على الرد عليه بل ربما كان واجباً . لأن رد البدعة واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » (٣) .

وإليك يا طالب الحق بعض من كتب الزيف والضلال . قال شيخنا ابو عبد الرحمن مقل بن هادي الوادعي حفظه الله تعالى وعافاه من آلامه كما في قمع المعاند (٢/٥٠٤-٥٠٥) : " وأما كتب الزيف والضلال فكذب الشيوعية ، والبعثية ، وكتاب القذاي الذي وزع في عام من الأعوام في معرض الكتاب ، ولا مجال لسردها ولذكرها بأكملها ، وكذلك كتب الصوفية فلا ينبغي أن يعتمد عليها ، وكتب الرافضة والشيعة هاهنا [أي في اليمن] لا ينبغي أن يعتمد عليها . وكتب الأدب التي ربما تشير الغرائز الجنسية لا يعتمد عليها ، وكتب أصحاب الحداثة لا ينبغي أن يعتمد عليها (٤) . وكتب الأغاني للأصفهاني فقد رد عليه

(١) انظر تمام جوابه في العقد الثمين (٢/١٧٨-١٨٩) .

(٢) السير (٣٢٨/١٩-٣٢٩) .

(٣) من كلام للشيخ العلامة محمد صالح العثيمين - حفظه الله تعالى - كما في شرح اللمعة ص (١٦٠) .

(٤) وينظر في هذا ما كتبه عوض بن محمد القرني في رسالته « الحداثة في ميزان الإسلام » .

بالسيف اليماني في نحر الأصفهاني . وتفسير النار فهو يعتبر من كتب الزيغ والضلال ، وقد ذكرنا شيئاً من هذا في (ردود أهل العلم على الطاعين في حديث السحر وبيان بعد محمد رشيد رضا عن السلفية) . وكتب ابن عربي مثل الفصوص ، والتفسير ، فهو صوفي خبيث كافر^(١) أكفر من اليهود والنصارى فلا ينبغي أن يعتمد على كتبه ، وكتب الغزالي الأخيرة ونعني - محمد الغزالي - مثل : دستور الوحدة الثقافية ، وهموم داعية ، ومثل السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث . وعلى كل فلا يعتمد على كتبه . ومن الكتب الزائفة كتاب بدائع الزهور فلا ينبغي أن يعتمد عليه ، وأيضاً كتاب تنبيه الغافلين لأبي الليث السمرقندي ، وكتاب عيون المعجزات لرافضي أثير فيه الكفر البواح ، والكافي للكيليني أيضاً وكتاب أسنى المطالب في نجاة أبي طالب ، وكتاب سلوني قبل أن تفقدوني ، ومقت الأزهاري ، وشرح الأزهاري ، وتفسير الزمخشري . معترلي لا يعتمد عليه وهو جاهل في الحديث يصحح ما يهوى ، ويضعف ما لا يوافق . وإيضاً كتب الحزبيين - كونوا على حذر من كتب الحزبيين - والزاي أيضاً له كتب وهو من ذوي الزيغ والضلال . وأبو ربة أيضاً صاحب أضواء السنة ، وهي في الحقيقة ظلمات على السنة . وهو ضليل من أئمة الضلال . وأشعار المقالح لا ينبغي أن يعتمد عليها بل في ديوانه بعض الكفريات . وكتب السحر والشعوذة مثل شمس المعارف ، وكتاب الرحمة ، ... وكتب ابن علوان مثل كتاب المهرجان . ومنشورات صاحب بيت الفقيه ، دجال من الدجاجة ، وقد تكلمنا على شيء من ترهاته في (إرشاد ذوي الفطن لإبعاد غلاة الروافض من اليمن) وكتاب طبقات الشعراني والميزان له أيضاً من كتب الزيغ والضلال ، والمجلات التي تأتي من قبل أعداء الإسلام . أو يكتبها الحزبيون .

وينبغي لطالب العلم أن يتعد عن هذه الكتب ، كتب الزيغ والضلال والجرائد والمجلات . لا ينبغي لطالب علم أن يشتغل بها لكن العالم الذي لديه القدرة على الرد فلا بأس أن يأخذها من أجل الرد عليها . وكتب الموالد بجميع أنواعها وأشكالها ينبغي أن يتعد عنها ، وكتاب علي من اللحد إلى المهد من كتب الزيغ والضلال . ومن الكتب الطامة ما كتبه يوسف هاشم الرفاعي . الذي طبعه أهل الحديدة على حسابهم - علماء اليمن ومحرفوا اليمن - قولوا : جهلاء اليمن ، ولا تقولوا علماء اليمن ففيه إساءة إلى اليمنيين كلهم بأنهم على خرافة ، أما اليمنيون فهم بريؤون مما احتوى عليه ذلكم الكتاب من الضلال ، وكان ينبغي أن نفصل في هذه شيئاً ولكن الوقت لا يتسع للتفصيل .^(٢)

وأختم هذا المقام بما جاء في السير (٣٦/٢١ - ٣٦) في ترجمة أبي طاهر السلفي رحمه الله تعالى إذ قال :

(١) انظر : « تنبيه الغبي إلى كفر ابن عربي » لبرهان الدين البقاعي - رحمه الله تعالى - .

(٢) لأن أصل الكلام المساق إنما هو عبارة عن محاضرة لشيخنا - حفظه الله تعالى - .

قلت : ومن أراد الوقوف على تفصيل في هذا الباب فليراجع « كتب حذر منها العلماء » للشيخ مشهور بن سلمان - رعاه الله تعالى - .

وهأنا شارع في شرح ديني
وأجهد في البيان بقدر وسعي
بشعر لا كشعر بل كسحر
فلست الدهر إمعة وما إن
فلا تصحب سوى السني ديناً
وجانب كل مبتدع تراه
ودع آراء أهل الزيف رأساً
فليس يدوم للبدعي رأي
يوافى حائراً في كل حال
ويترك دائماً رأياً لرأي
وعمدة ما يدين به سفاهاً
وقول أئمة الزيف الذي لا
كمعبد المضلل في هواه
وجعد ثم جهم وابن حرب
وثور كاسمه أو شئت فاقلب
وبشراً لا رأى بشري فمته
وأبناح ابن كلاب كلاب
كذاك أبو الهذيل وكان مولى
ولا تنس ابن أشرس المكنى
ولا ابن الحارث البصري ذاك
ولا الكوفي أغنيته ضرار بن
كذاك أبو الأصم ومن قفاه
وعمرو كذا اعني ابن بحر
فراي أولاء ليس يفيد شيئاً
وكل هوى ومحدثه ضلال
فهذا ما أدين به إلهي
وما نافاه من خدع وزور

ووصف عقيدتي وخفي حالي
وتخليص العقول من العقال
ولفظ كالشمول بل الشمال
أزل ولا أزول لذي النزال
لتحمد ما نصحتك في المآل
فما إن عندهم غير المحال
ولا تغررك حذقة الرذال
ومن أين المقر لذي ارتحال
وقد خلى طريق الاعتدال
ومنه كذا سريع الانتقال
فأحداث من ابواب الجدل
يشابهه سوى الداء العضال
وواصل أو كغيلان المحال
همير يستحقون المخالي
وحفص الفرد قرد ذوافعال
تولد كل شر واختلال
على التحقيق هم من شر آل
لعبد القيس قد شان الموالى
أبا معن ثامة فهو غالي
المضل على اجتهد واحتفال
عمرو فهو للبصري تالي
من أوباش البهاشمة النغالي
وغيرهم من اصحاب الشمالي
سوى الهذيان من قيل وقال
ضعيف في الحقيقة كالخيال
تعالى عن شبهة أو مثال
ومن بدع فلم يخطر ببالي

قال أبو عبد الله الذهبي رحمه الله تعالى : " صدق الناظم رحمه الله وأجاد . فلئن يعيش المسلم أخرس أبكم خير له من أن يمتلأ باطنه كلاماً وفلسفة " .

الفصل الرابع

١-الكلام على عبارة (نأتمع فىما اتفقنا عله ، وبعذر بعضنا بعضاً فىما اأأألفنا فىه) :

إن لما ىبغى أن يعلم هاهنا أن مرد العبارات والأقوال إلى الكتاب والسنة فما وافقهما وجرى عله فهم السلف الصأف فهو أأق الذى ىب أن يعأنى به وبعول عله ، وما كان مصادماً للكتاب والسنة فمردود على قائله كأئناً من كان علماً وفضلاً ومكانة فضلاً عن أن ىكون ممن دون هؤلاء من أعال وأوباش .

وهألة ما ىقال فى العبارة السابقة : إن كانت كما فىهم من واقع من ىأغنى بها على إطلاقها فهذا هو عىن الكأذب والزور والاضللل على من لا علم عنده ، وىقال لمن دأبه الأغنى بأك العبارة على إطلاقها .

أأأأرأ بآهلأ أن أهدم وأعطل باب النصيحة والأوصى بأأق الذى فرأ منه اسأألا ؟ !!

أم ىأ لىأ شعرى ما مرأد من ىأغى بها بأقوله : (فىما اأأألفنا فىه) . أهو اأأألاف الأناوع و الأفهام ؟ أم هو اأأألاف الأناأ ؟ أهو اأأألاف فى الأحكام وموارأ الأأأهاد ؟ أم هو اأأألاف فى الأعاأأد بىن أأق والبأطل ؟ !

فإن كان مرأد القائل هو الأول فىقال فىأأ هذا أأق بل هو من أعظم غاباأ الالبن لكن إذا اقأرن بالنصيحة فإنه لا بأ منها . وإن كان المرأد هو الأناى : فهو البأطل الذى ىب رأه لأن العبارة أصبح شعراً للأنأمع أون أأىز بىن أأق وبأطل ، ولا بىن سنة وبعأة بل ولا بىن أوأأ وشرك .

وىأ لله كم هأما أك العبارة من ارأان وواأاباأ فىهى أقوم على أبنا أأأأ والمأأأة لأهل الأهواء والبأع والأنازل عن الرأ علهم وزأرهم وهذا هو عىن البأطل عنأ الأأمل .

وعلى هذا فالعبارة بهذا المفهوم أأأأ أن أهدم وأأأفن وىأكر على قائلها غاية الإنكار أأاة للعاأأة وذاً عن مباء الولاء والأراء . وىبغى أن ىأأر المسلم من أمأال أك العباراأ الأى أأأر من عأم علم وبصأرة وأأاة فى الالبن عنأ قائلها . وإلى الله المأأأى .

ومن أأمل بعىن الإنصاف إلى أأأة القوم ومنهأهم ىأأهم أأ جعلوا أك العبارة الساأأة منهأاً وسلوكاً لهم فى الأعاأل مع أأرهم !! .

فىألأأهم أأأروها على نطاق المسلمىن . بل الطأمة الكأرى ، والأضأأة العظمى ، جعلهم إباها منهأاً فى الأعاأل مع الأهود والأناأى والأرافأة . إن القوم أأ سافروا سفراً بعأداً ، وأبنا قولاً عأظماً .

فما بأهم ىأأون فى الإسلام بأسم الإسلام ، فأأ اصأ وأضحى وأمسى الإسلام ىأن من مقلأأأهم ، وسوء صنأعهم ، فىلعلموا أن الأمة فى غنىة منهم ومن أمأأهم الذىن مبعوا الإسلام ، وهأموا قوائمه بأأأأهم مع البأأة والمألل الكأأرى ، وأأرى مع الروافأ . وىسعون غاية السعى فى الأأأب بىن السنة والشأعة . بل أعظم من هذا ساعهم فى أوأأ الأأأان السماوىة . أأأ الله أأأرهم وأأأر أمأأهم من أهل الضلال والأأأ . ونسأل الله أن ىأسأر أهذه الأمة بمن ىبأرونها بأأأها وىأأونها لما أأأها من بأع وضلال

. وهم مع هذا لا يفرطون في هذا الدين ، ولا يحملون النصوص ما لا تحمل ، ولا يعمدون منهج الولاء والبراء . بل ولا « يرغبون عن طرائقهم من الاتباع ولو نشروا بالمناشير ، ولا يستوحشون لمخالفة أحد بزخرف قول من غرور أو بضرب أمثال زور » ^(١) . وقد فعل الله ذلك فله الحمد والمنة .

فصيحني لمن له أدنى تعلق بأولئك القوم أن يتذكر وقوفه بين يدي الله تعالى . يوم يأتي وقد فرط في دينه وشرعه . فالرجوع الرجوع إلى منهج وطريقة السلف أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعظمها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدباً وأحسنها حالاً . قوم اختارهم الله لصحبة نبيه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم دينهم وفضلهم ، واتبعوهم في آثارهم فهم على الهدى المستقيم ، ^(٢) ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . فكن يا أخي مقتدياً لا مبتدياً ، ومتبعاً لا مبتدعاً . وقفنا الله جميعاً لطاعته ، وأمننا الفتنة في دينه .

٢- الكلام على عبارة (مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم) :

هذه العبارة اشتهرت عند المتأخرين ، وهي عبارة متعسفة المعنى ، مهدومة البنى ، بعضها يستدعي على بعض . وعند التأمل يعرف الناظر مدى بطلانها . وسأكتفي بما ذكره علماؤنا حولها من ردود علمية وفوائد وفرائد ير حل إليها فدونك ما ذكرنا :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في الفتاوى (٤/١٥٧) : " وتارة يجعلون إخوانهم المتأخرين أحق وأعلم من السلف . ويقولون : (طريقة السلف أسلم ، وطريقة هؤلاء أعلم وأحكم) فيصفون إخوانهم بالفضيلة في العلم والبيان ، والتحقيق والعرفان ، والسلف بالنقص في ذلك والتقصير فيه أو الخطأ والجهل . وغابتهم عندهم : أن يقيموا أعدارهم في التقصير والتفريط ، ولا ريب أن هذه شعبة من الرافض ، فإنه وإن لم يكن تكفيراً للسلف كما يقوله من يقوله من الرافضة والخوارج ، ولا تفسيقاً لهم كما يقوله من يقوله من المعتزلة والزيدية وغيرهم - كان تجهيلاً لهم ، وتخطئة وتضليلاً ونسبة لهم إلى الذنوب والمعاصي ، وإن لم يكن فسقاً فزعماً : أن أهل القرون المفضولة في الشريعة أعلم وأفضل من أهل القرون الفاضلة ، ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف أن خير القرون هذه الأمة - في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة - أن خيرها القرن الأول ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، كما ثبت ذلك عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - من غير وجه ، وأنهم أفضل من الخلق في كل فضيلة من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة ، وأنهم أولى بالبيان من لكل مشكل . هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للإكثاني (١/١٩) .

(٢) جاء عن ابن مسعود - رضي الله عنه - كما في ذم الكلام للهروي ص (٢٦٧) .

، واضله الله على علم كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " من كان مستنأً فليستق بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة . أولئك أصحاب محمد : أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه . فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم " . وقال غيره : " عليكم بآثار من سلف فإنهم جاؤوا بما يكفي وما يشفي ، ولم يحدث بعدهم خير لم يعملوه " .

وقال رحمه الله أيضاً (٨/٥ - ١١) : " ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء من لم يقدر قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها . من أن (طريقة السلف اسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم) وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعني بها معنى صحيح . فإن هؤلاء المبتدعين الذين طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حدا حذوهم على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا : أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك . بمنزلة الأमीين الذين قال الله فيهم : ﴿ ومنهم أमीون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ [البقرة - ٧٨] . وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع الجازات ، وغرائب اللغات . فهذا الظن الفاسد [تلك المقالة] التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر ، وقد كذبوا على طريقة السلف ، وظلوا في تصويب الخلف . فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف ... إلى قوله : ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية من الجهالة بل في غاية الضلالة . كيف يكون هؤلاء المتأخرون لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية أقdamهم بما انتهى إليه أمرهم حيث يقول : "

وسيرت طري في بين تلك المعالم

لعمري لقد طفت المعاهد كلها

على ذقن أو قارعا سن نادم

فلم ار إلا واضعاً كف حائر

إلى قوله رحمه الله : " ويقول الآخر منهم : لقد خضت البحر الخضم ، وتركت أهل الإسلام وعلومهم ، وخصت في الذي نهوني عنه ، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان ، وها أنا أموت على عقيدة أمة . " ثم قال : هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا خفق عليهم الأمر لم يوجد من حقيقة العلم بالله ، وخالص المعرفة به خبر ، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر . كيف هؤلاء المحجوبون المفضلون ، المنقوصون المسبوقون ، الحيارى المتهوكون : اعلم بالله وأسمائه وصفاته واحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصايح الدجى ، الذين قام بهم الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم ،

وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة ولا سيما بالله وأحكامه وأسمائه وآياته من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم - أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان - وورثة المجوس وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكاهم وأشباههم : أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان، اه بتصرف .

قال العلامة الشوكاني رحمه الله تعالى : " ومع هذا فهم متفقون فيما بينهم على أن طريقة السلف أسلم ولكن زعموا أن طريقة الخلف أعلم فكان غاية ما ظفروا به من هذه الأعلمية لطريق الخلف أن تمنى محققهم وأذكيائهم في آخر أمرهم دين العجائز وقالوا هيناً للعامة فتدبر هذه الأعلمية التي حاصلها أن يهني من ظفر بها للجاهل الجاهل البسيط ، ويتمنى أنه في عدادها ومن يدين بدينهم ويمشي على طريقهم ، فإن هذا ينادي بأعلى صوت ويدل بأوضح دلالة على أن هذه الأعلمية التي طلبوها الجاهل خير منها بكثير ، فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه أن الجاهل خير منه وينتهي عند البلوغ إلى غايته والوصول إلى نهايته أن يكون جاهلاً به عاطلاً عنه ، ففي هذا عبرة للمعتبرين ، وآية للناظرين ، فهلا عملوا على جهل المعارف التي دخلوا فيها بادئ بدء وسلموا من تبعاتها وأراحوا أنفسهم من تعيها ، وقالوا كما قال القائل :
أرى الأمر يقضي إلى آخر
يصير آخره أولاً

ورجحوا الخلو من هذا التمني ، والسلامة من هذه التهنئة ، فإن العاقل لا يتمنى رتبة مثل رتبته أو دونها ولا يهني لمن هو دونه أو مثله ، ولا يكون ذلك إلا لمن رتبته أرفع من رتبته ومكانه أعلى من مكانه فيا لله العجب من علم يكون الجاهل البسيط أعلى رتبة منه وأفضل مقدار بالنسبة إليه ، وهل سمع السامعون مثل هذه الغريبة أو نقل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها ؟ .

وإذا كان حال هذه الطائفة التي عرفناك أخف هذه الطوائف تكلفاً وأقلها تبعاً فما ظنك بما عداها من الطوائف التي قد ظهر فساد مقاصدها ، وتبين بطلان مواردها ومصادرها ، كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت به كبار الإسلام وأهله ، والسعي في التشكيك فيه بإيراد الشبه وتقرير الأمور المفضية إلى القدح في الدين وتغيير أهله عنه ، وعند هذا تعلم أن :

خير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع

وأن الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وقد كانوا رحمهم الله تعالى وأرشدنا إلى الاقتداء بهم ، والاهتداء بهديهم ، يمررون أدلة الصفات على ظاهرها ولا يتكلفون علم ما لا يعلمون ولا يتأولون ، وهذا العلوم من أقوالهم وأفعالهم . والمتقرر من مذاهبهم لا يشك فيه شك ، ولا ينكره منكر ، ولا يجادل فيه مجادل ، وإن نزع به نازع ، أو نجم في عصرهم ناجم ، أوضحوا للناس أمره ، وبينوا لهم أنه على ضلالة بذلك في الجامع والمخالف ، وحذروا الناس من بدعته كما

كان منهم لما ظهر معبد الجهني وأصحابه وقالوا : إن الأمر أنف ، وبينوا ضلاله وبطلان مقتنه للناس فحذروه إلا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة " (١) .

قل العلامة محمد السفاريني الحنبلي رحمه الله تعالى : " مذهب السلف هو المذهب المنصور ، والحق الثابت المأثور ، وأهله هم الفرقة الناجية والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة ، ولكل مكرومة راجية من الشفاعة والورود على الحوض ورؤية الحق وغير ذلك من سلامة الصدر والإيمان بالقدر والتسليم لما جاءت به النصوص ، فمن الخيال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه — من لا يقدر السلف ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين به حق المعرفة الأمور بها — من أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القراءان والحديث من غير فقه ذلك ... " (٢) .

قلت : العبارة لمن تأملها موصوفة بالتناقض ، فبعض ألفاظها يتداعى على البعض الآخر فهي كاذبة صادقة صادقة في أولها وكاذبة بعجزها فكون طريقة السلف أسلم هو وصف للمذهب السلف بكونه أسلم وهي صيغة تفضيل من السلامة وما كان يفوق غيره ويفضله في السلام فلا شك أنه أعلم منه وأحكم » (٣) .

فكفى بهذا برهاناً على فساد العبارة مبنى ومعنى . والله المستعان .

فمتى علم العاقل أن السفه الذي جانب الحكمة سليماً ، وأنى له أن يكون سليماً وهو جاهل ؟ فاعتبروا يا أولو الأبالب . (٤)

(١) انظر التحف في مذاهب السلف ص (٣٦-٣٧) .

(٢) انظر لوامع الأنوار البهية له - رحمه الله تعالى - (٢٥/١) .

(٣) من كلام العلامة الشنقيطي - رحمه الله تعالى - في رسالة مطبوعة باسم « منهج ودراست لآيات الأنبياء والصفات » ص (٣٩-٤٠) .

(٤) انظر للمزيد معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد - حفظه الله تعالى - ص (٤٩٨) ومختصر العلور المقدمة للشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - وقد وصفها كما في الصحيحة بأنها خرافة .

تبصرة وتذكرة

١- قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " لا يدرك معاني القرآن ، ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة ، وحرام على القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه ، وأن يفهمه كما ينبغي " .^(١)

٢- قال الزركشي رحمه الله تعالى : " اصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكير ، واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقةً ، ولا يظهر له أسرار العلم من غيث المعرفة ، وفي قلبه بدعة أو إصرار إلى ذنب ، وفي قلبه كبر أو هوى أو حب الدنيا أو يكون غير متحقق الإيمان أو ضعيف التحقيق أو معتمداً على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر ، أو يكون راجعاً إلى معقوله ، وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكد من بعض ... " .^(٢)

٣- قال العلامة ابن القيم أيضاً : " ولا تجد مبتدعاً في دينه قط إلا وفي قلبه حرج من الآيات التي تخالف بدعته كما أنك لا تجد ظالماً فاجراً إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته ... " .^(٣)

٤- وقال أيضاً في المدارج (٣٧٢/١) في صدد الكلام على - القول على الله بلا علم - : " فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه ، ولا أشد إثماً . وهو أصل الشرك والكفر ، وعليه أسست البدع والضلالات . فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم . ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها . وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض ، وحذروا فتنهم اشد التحذير ، وبالفوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش ، والظلم والعدوان . إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد ، وقد أنكر الله تعالى على من نسب إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عنده بلا برهان من الله . فقال : ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾ [النحل - ١١٦] .

٥- قال رحمه الله تعالى (ص ٣٧٤) من المصدر المتقدم : " فإن السنة بالذات تحقق البدعة ولا تقوم لها ، وإذا طلعت شمسها في قلب العبد قطعت من قلبه ضباب كل بدعة ، وأزالت ظلمة كل ضلالة . إذ لا سلطان للظلمة مع سلطان الشمس . ولا يرى العبد الفرق بين السنة والبدعة ، ويعينه على الخروج من ظلمتها إلى نور السنة إلا المتابعة والهجرة بقلبه كل وقت إلى الله بالاستعانة ، والإخلاص ، وصدق اللجوء إلى الله ، والهجرة إلى رسوله بالحرص على الوصول إلى أقواله وأعماله وهدية وسنته . (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله) ومن هاجر إلى غير ذلك فهو حظه ونصيبه في الدنيا والآخرة . والله المستعان . "

(١) التبيان في أقسام القرآن ص (١٤٣) .

(٢) أنظر البرهان في علوم القرآن (١٨٠/٢-١٨١) .

(٣) انظر كلامه في فوائد الفوائد للشيخ علي الحلبي - حفظه الله تعالى - ص (١١٤) .

الخاتمة

في نهاية هذا المختصر انصح إخواني من أهل السنة أن يعتصموا بمنهج الكتاب والسنة الخروس بفهم سلف الأمة ، وخير قرونها بعد نبينا - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، وأن يعضوا عليه بالنواجذ . ثباتاً على هذا المنهج القويم حتى يأتي اليقين من عند الله رب العالمين . فهذا المنهج هو الحصن الحصين من فتق الشهوات والشبهات وغرور الشياطين :

فيه نجاه العبد في دنياه وسعادة يحضاها في أخراه

ومن تأمل أحوال المسلمين ، وكيف أصبح أضحي وأمسى وبات حاهم وواقعهم الأليم جزم وأيقن بأن هذا المنهج هو المتعين ، والمخرج الوحيد لما حل في ديارهم من الشر والضعف والاختطاط ومظاهر التفرق . فلا مخرج لهذه الأمة إلا بالرجوع الكلي الصادق إلى هذا المنهج ، والرضى به ، والسير في ركابه منشطاً ومكرهاً ، وعسراً ويسراً ، وظاهراً وباطناً ، وعبادة ومنهجاً وسلوكاً .
فيا أهل السنة : أنتم الغبراء . فاستوصوا ببعضكم خيراً ، واثبتوا على هذا المنهج ، واعلموا أن السنة فضلها في الإسلام كفضل الإسلام على سائر الأديان . قال الإمام أبو بكر بن عياش رحمه الله تعالى : " السنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان " (١).

وإياكم والتفريط بهذه السنة ولو بقيد أثمة . فأنتم من اختاركم الله واجتباكم فأسبغ عليكم هذه النعمة العظيمة ، وهو فضل منه سبحانه وتعالى كبير ، يستلزم منا الشكر الكثير .
فإذا تعين هذا المراد . فمن هذه الأمة في مقام التوجيه والإرشاد والذب عن السنة وأهلها وقمع البدعة وأهلها ؟ إن لم تكونوا أنتم يا أهل السنة الذين نصرتم هذا المنهج ، وقمتم به ، وضحيتم في سبيله بالغالي والرخيص والنفس والنفيس . فلا ندري والله من سيكون غيركم ؟؟ .

وبالجملة : - فعلى أهل السنة أن يصبروا الأمة بحال سلفها من حيث الثبات والسلوك والمنهج والعبادة والعلم ، وسائر أمور الدين ، فهم مصايح الدجى ، وقولهم هو القول الأولى ، وفهم هو المقدم في سائر ما تقدم .

ولتعلم يا طالب الحق : أنه لا بد من العلم والنور والبصيرة في مجال الدعوة إلى الله عز وجل ، وهذا الأمر لا يخفى على من له أدنى مسكت عقل . فإذا تقرر هذا تعين توجيه الناس ، وأفراد الأمة إلى تعلم العلم النافع كل بحسبه وبقدر طاقته ، وبهذا كله تعرف السنة من البدعة ، والضلالة من الهدى ، وأهل الحق من أهل الباطل ، بل توزن جميع الأمور بميزان الشرع . فينظر في كل أمر استجد وطراً فيقال فيه « لو كان هذا لشاع وانتشر ، وكان يضبطه طلبة العلم ، والخلف عن السلف ، فيصل ذلك إلى عصرنا . فلما لم

ينقل هذا أحد من يعتقد علمه ، ولا ممن هو في عداد العلماء . علم أن هذه حكاية العوام والغوغاء ^(١) . وهذه قاعدة متينة للفرقة بين البدعة والسنة . وفق الله الأمة لفهمها فهو الهادي إلى طريق الحق ، والصراط المستقيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

قاله بلسانه وخطه بقلمه

أبو العباس / نصر بن صالح بن محمود الخولاني

اليمن - إب ^٢

(١) كلام متين للإمام أبي بكر محمد بن الوليد الطرشوشي من كتابه « الخواص والبدع » ص (٧٤-٧٥) .

(*) كان الانتهاء من أصل هذه الرسالة في (٤/شعبان . عام ١٤١٥ هـ) . ثم حررتها وزدت عليها فكان الانتهاء منها في يوم الأحد (٥/رجب . عام ١٤١٩ هـ) . والله الموفق إلى كل خير .

رقم الصفحة	الفهرس التفصيلي
٥	كلمة شكر وتقدير
٦	التقديم
٧	مقدمة المؤلف
	الفصل الأول
٩	المبحث الأول : الاعتصام بالكتاب والسنة
١٠	من أدلة الكتاب على ذلك
١٢	من أدلة السنة على ذلك
١٥	آثار سلفية تدل على ذلك
١٧	المبحث الثاني : أساس قبول العمل
١٨	أقسام الناس في الإخلاص والمتابعة
٢١	المبحث الثالث: الحكم والمتشابه
٢١	موقف أهل البدع والأهواء من المتشابه
٢٥	المبحث الرابع : عداوة المبتدع للمتابع
٢٦	عداوة المبتدعة لأهل الحديث على الخصوص
٣٢	تتبع عثرات العلماء
٣٣	الميزان الذي يوزن به الناس
	الفصل الثاني
٣٥	المبحث الأول : اتباع الهوى أساس الضلال ومنشأ البدع
٣٩	المبحث الثاني : لزوم الاتباع والحذر من الابتداع

الفصل الثالث	
٤٦	الفرع الأول : مجامع مفاصد البدع
٤٦	الفرع الثاني : هجر المبتدع
٤٦	مشروعيته
٤٧	أقسام الناس في المخالفة لأمر الله
٤٨	بعض أدلة السنة في التحذير من أهل البدع
٤٩	كلام الأئمة في هجر المبتدع
٥٠	نقل الاتفاق على هجر المبتدع
الفرع الثالث	
٥١	مراعاة مصلحة الهجر
٥٢	لوازم مراعاة المصلحة
الفرع الرابع	
٥٣	المقصد الأول : الكلام في أهل البدع من النصيحة لا الغيبة
٥٤	بعض أدلة السنة على جرح المبتدعة
٥٥	كلام السلف في غيبة المبتدع
٥٩	ضوابط في غيبة المبتدع
٦١	المقصد الثاني : الكلام في أهل البدع ليس سبباً في تفريق الأمة
٦٣	المقصد الثالث : ذكر طائفة من تحذير السلف من أهل البدع والأهواء
الفرع الخامس	
٦٧	عيادة المبتدع وصاحب الهوى

الفرع السادس	
٦٩	المقصد الأول : مساجد المبتدعة
٧٠	المقصد الثاني : الصلاة خلف المبتدع
٧١	تنبيه مهم
الفرع السابع	
٧٢	كتب أهل الأهواء والبدع
٧٦	طائفة من كتب الضلال
الفصل الرابع	
٨٠	الكلام على عبارة (نجتمع فيما اتفقنا ...)
٨١	الكلام على عبارة (مذهب السلف أسلم ...)
٨٥	تبصرة وتذكرة
٨٦	الخاتمة